عقيدة الخطيئة والفداء والصلب

في اللاهوت المسيحي وموقف الإسلام منها

عبد الله محيي أحمد عزب

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى عباده الذين اصطفى، وبعد.

فقد من الله علينا بنعمة الإسلام، وكفي بها نعمة، وتكفل الله بحفظ كتابه من التحريف والتبديل، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر:٩، والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المعجز، المنزل على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، وقد امتاز القرآن بكثير من الخصائص التي لا نجدها في غيره من الكتب السماوية السابقة، فهو متوافق مع العقل والفطرة، متناسق في سوره وآياته، بل وفي كلماته وحروفه، وجاء خاليا من التناقض والاختلاف، ومن الألفاظ الغثة والشاذة، فيه خير الدنيا والآخرة، تنزيل من حكيم حميد {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء: ٨٢.

بينما نجد الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، قد عبثت به الكهنة والقساوسة، فأفسدوا تعاليم الوحي الإلهي عن عمد وقصد، وحرفوا نصوص التنزيل بالإضافة والتبديل، والزيادة والنقصان، مدعين الإلهام، وارتدوا بالإنسانية على أعقابها، وملؤوا الأناجيل وتفاسيرها بالخرافات والأساطير الوثنية القديمة، كاعتقادهم بالخطيئة والفداء والصلب، وتعصبوا لهذه الأساطير، وأبوا أن يؤمنوا بالحق الذي جاء به النبي الذي بشرت به كتبهم.

وهذا البحث بعنوان "عقيدة الخطيئة والفداء والصلب في اللاهوت المسيحي وموقف الإسلام منها" وقولنا في العنوان عقيدة مع أنها عقائد

ثلاث على اعتبار أن لفظ عقيدة جنس في العنوان، يشمل سائر العقائد، والعقائد الثلاث المذكورة بينها تلازم، فالفداء لازم للخطيئة الأصلية والموروثة، والصلب لازم للفداء، وقولنا: الخطيئة والفداء والصلب، فصل أخرج سائر العقائد ماعدا الثلاثة المذكورة، وقولنا في اللاهوت المسيحي فصل ثان، خرج به هذه العقائد في الأديان الوثنية القديمة، ومعنى اللاهوت المسيحي: أي الجانب الإلهي العقدي أو الكلامي في النصرانية (المسيحية).

وقد التزمت في تقرير هذه العقائد قدر استطاعتي على ألفاظهم وتعبيراتهم كما جاءت على ألسنتهم، وكان منهجي أن أعرض للمسألة في اللاهوت المسيحي من خلال الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ومصادرهم الأصيلة ومؤلفاتهم العقدية، ثم أقوم بمناقشة آرائهم، وأحيانا أستعين في مناقشتهم بآراء بعض القساوسة الذين هداهم الله للإسلام من خلال كتبهم.

وسلكت في هذا البحث المنهج العلمي القائم على التحليل والتركيب في المناهج والآراء المستخدمة عند المسيحيين، بمعنى أنني أقوم بتحليل الأفكار والآراء بالبحث عن جذورها، وإثبات ما جاء فيها من تناقض وتضاد وتضارب وتباين واختلاف، بين بعض النصوص التي يستدلون بها، والبعض الآخر، ثم أعقب عليها في الرد على أساس منهج المنع[1] أو المعارضة[2]، أو النقض[1]، ومن ثم اتبعت المنهج المقارن بين النفي

---

1 ـ المنع هو طلب الدليل على ما يحتاج إلى استدلال، وطلب التنبيه على ما يحتاج إليه، وقد يسمى المنع مناقضة، وربما سموه نقضا تفصيليا ، رسالة الآداب في علم أدب البحث والمناظرة: محمد محيي الدين عبد الحميد،صـ ٥٧ ، ط، دار الطلائع، القاهرة ٢٠٠٦م.

2 ـ المعارضة هي: إبطال السائل ما ادعاه المعلل واستدل عليه؛ بإثبات نقيض هذا المدعى، أو ما يساوي نقيضه، أو الأخص من نقيضه، المرجع السابق صـ٦٢. ==

والإثبات، مبينا في ذلك موقف الإسلام وسماحته، معتمدا في هذا على القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والمصادر الأصيلة والمتخصصة من الفكر الإسلامي.

وقد رتبت البحث في خمس مسائل:

المسألة الأولى:هي الخطيئة الأصلية، خطيئة آدم عليه السلام ــ وهي أكله من الشجرة التي نهاه الله عنهاــ وهذه الخطيئة يصورها اللاهوت المسيحي بأنها إصابة فى نفس آدم فهي كالجينات (الخلايا) الوراثية، التي يرثها كل أبنائه حتما، وقمت بمناقشة هذه العقيدة، والرد عليها مبينا موقف الإسلام منها.

المسألة الثانية: وهي الخطيئة الموروثة، التي ورثها كل أبناء آدم، ويدعون أن عقابها جهنم وبئس المهاد، حتى للأطفال الرضع، فكل فرد مخطئ، والكل مخلد في النار، وناقشت هذه المسألة، وقمت بالرد عليها، وبينت موقف الإسلام منها.

المسألة الثالثة: وهي العدالة الإلهية، لأنه لما كان كل أبناء آدم قد ورث الخطيئة ومصيره إلى جهنم، فهذا المصير لا يرضى به الله تعالى لعباده جميعا، فإذاً لابد من تدخل رحمته تعالى حتى لا يعذب الجميع، ولكن عدالة الله وقانونه لا يسمح بهذا، ومن هنا حدث تناقض بين رحمته تعالى وعدالته، ولابد من حل لرفع التناقض بين صفاته تعالى كما يزعمون، وقد ناقشت هذه العقيدة، وقمت بالرد عليها مبينا موقف الإسلام منها، ومبينا جذورها الفكرية الوثنية.

---

1 ـ ادعاء السائل بطلان دليل المعلل، مع استدلاله على دعوى البطلان، إما بتخلف الدليل عن المدلول بسبب جريانه على مدعى آخر غير هذا المدعى، أو بسبب استلزامه للمحال، أو نحو ذلك، المرجع السابق صـ ٦٧.

المسألة الرابعة: الفداء، وهذا هو الحل الوحيد الذي يرفع التناقض بين العدالة والرحمة، وهو أن يأتي الله بابنه الوحيد ويذبحه ويصلبه فداء للخطايا الموروثة وقد ناقشت هذه العقيدة مبينا موقف الإسلام منها، ومبينا جذورها الوثنية.

المسألة الخامسة: الصلب، وهى مترتبة على الفداء، وضحت فيها أحداث الصلب كما وردت في الأناجيل، والمؤلفات المسيحية، وناقشت هذه العقيدة مبينا جذورها الفكرية، وموقف الإسلام منها.

وأخيرا خاتمة بأهم نتائج البحث وتوصياته، وثبت بأهم المصادر والمراجع، هذا والله تعالى أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه،{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود: ٨٨ .

المسألة الأولى

الخطيئة الأصلية والذنب الموروث

المقصود بالخطيئة الأصلية خطيئة آدم ــ عليه السلام ــ الإنسان الأول، الذي خلقه الله ــ تعالى ــ بيده، خلقه من طين، ثم نفخ فيه من روحه، ومن آدم ــ عليه السلام ــ بدأ التناسل والتكاثر، وهذا الأمر محل اتفاق بين اللاهوت المسيحي والفكر الإسلامي، كما أنه يوجد اتفاق بينهما على أن آدم عليه السلام سكن الجنة ومعه زوجه حواء، وذلك بعد أن سجدت له الملائكة إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين، فطرد من الجنة مرجوما مدحورا، وقد تحايل إبليس على آدم وحواء فأغواهما بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فتلا ذلك خروج آدم من الجنة، وهبوطه إلى الأرض هو وزوجه، قال تعالى:{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ،البقرة: ٣٥ – ٣٧، وفي تفاصيل هذه القصة تختلف الأديان، وتتعدد المذاهب والأفكار، والذي يعنينا هنا تصوير خطيئة آدم وانتقال الذنب وراثة لأبنائه في اللاهوت المسيحي.

تقرير عقيدة الخطيئة الأصلية في اللاهوت المسيحي

إن الله عز وجل خلق آدم وأعد له كل شيء يحتاج إليه، وجعله في جنة عدْن، ليتمتع بخيراتها، وجعله متميزا في طريقة خلقته، فهو الكائن الوحيد الذي ذكر عنه عند خلقته أن الله نفخ في أنفه نسمة حياة،

فصار نفساً حية، وجعله كذلك متميزا في خلقته، فهو الكائن الوحيد الذي خلق على صورة الله ومثاله[1]" وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" تكوين ١: ٢٦، ثم أوصى الله آدم أن يأكل من جميع شجر الجنة، إلا شجرة معرفة الخير والشر، لكن آدم استهان بوصية الله وتمرد عليها كما يزعمون، وانجذب لإغراءات الشيطان، وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، ويستدل المسيحيون على ذلك بما جاء في العهد القديم "وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت" سفر التكوين: الإصحاح الثاني، ١٦ ــ ١٧ .

لكن آدم تمرد ولم يلتزم بالوصية وعصى ربه، وسبب عصيانه وأكله من الشجرة المنهي عنها يرجع إلى الشيطان الذي تجسد في صورة حية، و أغوى حواء أن تأكل من الشجرة، وحواء بدورها أغوت آدم فأكل منها، يقول فرج جرجس:" لكن إبليس الذي كان ملاكا، وتمرد على الله فسقط وصار شيطانا رجيما تمثل بشكل حية وجاء إلى حواء، وأغواها أن تأكل من ثمر الشجرة المنهي عنها"[2] وجاء في رؤيا يوحنا " فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض "الإصحاح الثاني عشر:١٠، و جاء في سفر التكوين " وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر

---

1 - راجع إيماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي، صـ ٦٣، مطبعة دار نوبار بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦ م .

2 - دروس في الديانة المسيحية: فرج جرجس جـ١/١١ ، مطبعة المعارف، ط: الثانية، ١٩٢٠م .

الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منـــه، ولا تمـــساه لـــئلا تموتاه، فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الـــشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت مـــن ثمرها، وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكـــل، فانفتحـــت أعينهمـــا، وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تـــين وصـــنعا لأنفـــسهما مـــآزر" الإصحاح الثالث: من ١ ــ ٨.

ومن النصوص السابقة يتضح أن الشيطان تمثل في صورة حية "وصمم على أن يفسد حياة آدم وحواء وهما في الجنة، فمارس معهمـــا الإغواء والإضلال حسدا لهما، وقد استخدم الشيطان عدو الله والإنسان كل أنواع المكر والدهاء، فأغرى الإنسان وأغواه وأوقعه في حبائله، ثم انتزع تاج المجد والجلال الذي وضعه الله على مفرقه يوم أقامه ملكـــا على سائر الخلائق، ومن ثم خيم الظلام والشقاء على آدم وحواء بعد أن كانا لؤلؤتين نيرتين في تاج الخليقة"[1] وبهذا سقط آدم فـــي الخطيئـــة، وترتب على خطيئته ــ على سبيل اللزوم وعدم الانفكاك ــ عقوبـــات عديدة له ولزوجه، بل وللحية.

العقوبة المترتبة على عصيان آدم وزوجه بالأكل من الشجرة

عقوبة الأكل من الشجرة شملت الحية وحواء وآدم عليه السلام .

أما الحية فعوقبت باللعن، والأكل من التراب، وأن تسعى على بطنها طوال حياتها، وأن يصبح بينها وبين حواء ونسلها عداوة يسحق كل منهما الآخر، جاء في سفر التكوين " فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت

1- مسيا طبيعته وشخصه: د. ديفدل كوبر، ترجمة القس إبراهيم سعيد، صـ١، ط: النيل المسيحية، ١٩٣٥م.

هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وترابا تأكلين، كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يستحق رأسك، وأنت تستحقين عقبه" الإصحاح الثالث:١٤ ــ ١٦.

أما حواء فجاء في عقوبتها نتيجة لعصيانها وإغواء الحية لها، أن تتألم في الحمل والولادة، وأن تشتاق إلى رجلها، وأن يكون له السيادة عليها "وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك" سفر التكوين: الإصحاح الثالث: ١٧.

أما آدم ــ عليه السلام ــ فعوقب بأن الأرض ملعونة بسببه، وكانت حياة الشقاء والتعب والألم له ولأولاده بسبب عصيانه "وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكا وحسكا[1] تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك من تراب، وإلى تراب تعود" سفر التكوين: الإصحاح الثالث: ١٨ــ ٢٠.

وبالإضافة إلى ما تقدم من عقوبات، عاقب الله آدم وحواء بعقوبات مشتركة منها:

١ ــ فقد الإنسان الصورة الإلهية المقدسة التي خلق عليها، ودخلت الشهوة إلى الطبيعة البشرية، ودخلت معها العبودية للخطية، وبذلك

---

1 - لايراد بالشوك والحسك أنواعا خاصة من النبات، وإنما المراد بهما كل نبات فيه شوك وحسك يؤذي الناس، ويعيق عملهم، والأرض لم تزل تنبتهما حسب لعنة الله الأصلية كما يزعم المسيحيون، راجع قاموس الكتاب المقدس:صـ ٥٢٩، نشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، ط: الخامسة عشر،٢٠١١م.

فسدت طبيعة الإنسان، وعرفت الخطية والشهوة والتعدي والعصيان[1]، فكأن آدم وحواء صارا أسيرين للخطية، جاء في يوحنا "الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" يوحنا: ٨: ٣٤ .

٢ــ تمردت الطبيعة على الإنسان الذي كان سيدا عليها من قبل، فصار يخاف الوحوش، التي كانت خاضعة له، وصارت الأرض تنبت له شوكا وحسكا[2].

٣ــ حكم عليهما بالموت بكل أنواعه هما ونسلهما، وهذا الحكم في قوله: "لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"و ذلك "لأن أجرة الخطية هي موت" رومية: ٦/٢٣.

وفي ضوء هذا الحكم يتبين أن آدم ــ عليه السلام ــ لو لم يأكل من الشجرة التي نهى عنها كان سيظل حيا في جنة عدن، كتب الأب ثاؤفيلوس في هذا المعنى "خلق الله الإنسان ليس خالدا، ولا قابلا للموت[3]، ولكن خلقه قادرا على أن يتحول إلى أي من الجهتين، الخلود والموت، وهكذا إذا اتجه إلى ماهو خالد، وحفظ وصية الله، فإنه كان سينال مجازاة الخلود من الله، ويصبح إلها بالنعمة[4] أما إذا اتجه إلى الأشياء التي تقود إلى الموت، وعصى الله؛ فإن الإنسان يصبح سبب موته، لأن الله خلق الإنسان حرا وسيدا على إرادته"[5]، وبما أن الإنسان

---

1 ـ إيماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي صـ ٦٣.

2 ـ المرجع السابق: صـ ٦٣.

3 في هذه العبارة تضاد مساو للنقيض، لأن معنى ليس خالدا أنه قابل للموت، ومعنى أنه لا قابلا للموت، أنه خالد، فهما ضدان مساويان للنقيض.

4 يقول يوحنا الدمشقي عن الشركة في الطبيعة الإلهية "والتأله اشتراك في الضياء الإلهي، لا انتقال إلى الجوهر الإلهي" نقلا من "موت المسيح على الصليب" د. جورج حبيب بيباوي، صـ ٤٢٧ في الحاشية، نشر جورج حبيب بيباوي، ط: الأولى، ٢٠٠٩ م .

5 ـ المرجع السابق نفس الصفحة.

عصى وأكل من الشجرة المنهي عنها؛ فقد تسبب لنفسه بأن يعاقب بالموت بكل أنواعه، والمقصود بأنواع الموت هنا:ـ

أ ـ الموت الجسدي: وهو انفصال الروح عن الجسد.

ب ـ الموت الأدبي: فقد الإنسان لمركزه كابن لله.

ج ـ الموت الروحي: انفصال الإنسان عن الله.

د ـ الموت الأبدي: الحكم بفناء الإنسان إلى الأبد.

٤ ـ الطرد من جنة عدن التي اسكنه الله إياها "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها " تكوين ٣: ٢٤ ، يقول القس جورج بيشوي حلمي في نتائج خطيئة آدم: " طرد الإنسان من الجنة وسقطت معه وفيه البشرية كلها، أخرج الله الإنسان من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد بهذه الطبيعة الفاسدة، وهكذا سقط آدم وسقطت معه البشرية التي كانت في صلبه يوم أن أخطأ، ويوم أن طرد من الجنة"[1].

وخلاصة القول في الخطيئة الأصلية: أن آدم أخطأ، وأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها،، ومن ثم فهو لم يطع الله تعالى، بل سمع لقول امرأته التي أغواها الشيطان، وفضلها على إلهه، ولذا كان هو المسئول الأكبر في مأساة السقوط والخروج من الجنة، وبسببه جاءت اللعنة للأرض، وجاء للبشر التعب والكد، وأنبتت الأرض الملعونة الشوك والحسك، وصار الإنسان التعس المسكين عبداً لبطنه،

1- إيماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي، صـ ٦٤.

يأكل لقمة العيش بعرق الجبين، وكتب عليه هو ذريته الموت بكل أنواعه[1].

ما سبق عرضه هو تقرير اللاهوت المسيحي لقصة الخطيئة الأصلية، وهذه القصة تتفق في كثير من الأسس مع التفسيرات الإسلامية، من حيث أن الله خلق أدم من تراب، وأنه كان في الجنة، وأن الله أوصاه بعدم الأكل من شجرة معينة، وأن آدم خالف وأكل منها، وكان ذلك سببا في خروجه من الجنة، كل هذا متفق عليه بين أهل الدينين؛ ولكن الخلاف يقع في مخالفة آدم بالأكل من الشجرة المنهي عنها، والعقوبات المترتبة عليها، فاللاهوت المسيحي يصورها على أنها خطيئة وقعت من آدم عمدا، وأن الله لم يغفر لآدم وحواء خطيئتهما، بل تركهما وأبناءهما من بعدهما تحت حكم الدينونة[2]، ولذلك عوقبا عليها عقوبات عديدة كما سبق، بل وورث هذه الخطيئة أبناء آدم من بعده، وهذه الخطيئة الموروثة لا تمحى إلا بذبيحة تقدم إلى الرب، وهذه الذبيحة يجب أن تكون دم إنسان كامل بلا خطيئة، وهو ابن الله الوحيد كما سيأتي تفصيل ذلك.

---

1 - راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١ - ٥٠، شركة الطباعة المصرية، ٢٠٠٣ م، وإيماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي، صـ ٦٢ - ٦٤، والصليب وقصده الكوني: فليب معزوز صـ٢٣ ومابعدها، مطبوعات نظرة المستقبل، طبعة أولى، ٢٠١١م.

2 - الدينونة للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد خيرًا كانت أم شرًا، وهذه الدينونة عامة وشاملة، وحكم هذه الدينونة نهائي، ولا يقبل النقض، ولا الاستئناف، وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها. ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية، واليأس الأبدي، راجع قاموس الكتاب المقدس: صـ٣٨٢.

مناقشة اللاهوت المسيحي في عقيدة الخطيئة الأصلية و موقف الإسلام منها

أولا: هذا الاعتقاد على حسب ما قُرر في اللاهوت المسيحي غير مقبول، بل هو مردود بالعقل والشرع، لأنه من الظلم أن يعاقب آدم – عليه السلام – حسب نص سفر التكوين على ذنب ماكان له أن يعلم قبحه، إذ أنه قبل أن يأكل من الشجرة لم يعرف بعد الخير والشر، وكيف وقع في الإثم وهو غير ميال للشر والخطيئة التي دخلت للإنسان بعده على حد زعم النصارى؟

أما الفكر الإسلامي في هذه المسألة فهو يعترف بالجبلة والخلقة البشرية التي خلق الإنسان عليها، فهو مستعد للخير والشر، ومدرك لهما، ولذلك فهو مكلف بفعل الخير وبالامتناع عن الشر، ويحاسب على ما يفعل منهما.

ثم نقول للنصارى على فرض تحمل الذنب، من الذي يتحمله آدم أم حواء؟

لقد ذكر نص سفر التكوين ما يفهم منه براءة آدم من غواية الحية، وأن حواء هي التي استجابت للحية، وأكلت من شجرة معرفة الخير والشر، ولما سئل آدم عن فعلته أجاب قائلا لربه: "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" سفر التكوين ٣: ١٣، وبراءة آدم من غواية الشيطان المتمثل في الحية صرح به بولس فقال: "وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي" تيموثاوس الأولى، ٢: ١٤ .

كما أن ادعاء النصارى بأن آدم – عليه السلام – وحواء بارتكابهما الخطيئة وأكلهما من الشجرة عوقبا بالموت بكل أنواعه ادعاء باطل، ومخالف للواقع وللكتب السماوية؛ لأن آدم عليه السلام أكل منها،

وما مات في يوم الأكل، بل حيي بعده أزيد من تسعمائة سنة[1] بل ورد أنه عاش بعد أكله من الشجرة على الأرض قرابة الألف عام، روى الحاكم بسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه،عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"كَانَ عُمْرُ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ"[2]، وهذا يخالف ما جاء في سفر التكوين"من أنك يوم أن تأكل منها موتا تموت" ولا يمكن أن يقال بأن الموت مجازي، أو معنوي، أو نفسي، لأنه كما أن الأكل من الشجرة حقيقي، فالموت أيضا حقيقي، ويؤكد هذا قوله: "موتا تموت"[3].

وقد ذكر القمص باسليوس إسحاق أن أدم لم يمت بعد الأكل من الشجرة، بل أمهله الله بفدية افتداه بها حيث قال: " لم ينفذ الله حكم الموت كما تقضي العدالة، لأن الله رحوم، وإن كان في نفس الوقت عادل، ولهذا دبر ذبيحة الكفارة من دم الحيوان، فافتداهما بكبشين ذبحهما الله فدية عنهما، فالذبيحة الأولى للكفارة عقب السقوط مباشرة كانت من الكباش، يؤيد هذا نص التوراة " وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" تكوين ٣ : ٢١ ، فهذه الأقمصة كانت من جلود الكباش التي قدمت تكفيرا عنهما حتى لا ينفذ فيهما حكم الموت"[4].

---

1 ـ إظهار الحق: رحمة الله الهندي جـ٢/صـ ٢٦٦، طبع الهيئة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض ، السعودية ، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢م.

2 ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم: رقم الحديث ٤١٧٢، جـ٢/صـ ٦٥٤، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى،١٤١١-١٩٩٠م، وانظر لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، جـ٢/صـ ٢٦٧، تحقق: محمد علي، نشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، ط: الأولى ـ ١٤١٥هـ.

3 ـ راجع هل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار صـ١٦٤ ومابعدها ، ط، دار السلام القاهرة، ط :الثالثة، ٢٠٠٧ م.

4 ـ المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان، صـ ١٢٧ ، نشر مكتبة النافذة، ط: الأولى،١٩٧٢م.

وما ذكر في نص هذا القمص يتناقض تماما مع النص السابق "موتا تموت"

وهذا يدل على التخبط والتناقض في فكرهم، ويدل على تحريف كتابهم المقدس.

وادعاؤهم أنه بسبب معصية آدم لعنت الأرض معارض، لأن القرآن أخبر أن آدم عليه السلام وبنيه نيطيت بهم مهمة أساسية، وهي تحقيق خلافة الإنسان في الأرض التي خلق من ترابها، وأنه من أجل ذلك أهبط إلى الأرض، وجعلت له ولذريته مستقرا ومتاعا إلى حين[1]، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠.

وإذا فآدم وبنيه خلقوا لخلافة الأرض وعمارتها، وخلفاء الله في الأرض ليسوا آثمين ولا مفسدين، بل عباد مكرمون، وبشر صالحون، مفضلون عن كثير من المخلوقات، منعمون في الأرزاق والطيبات، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } الإسراء: ٧٠، وقال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } الأعراف: ١١.

وبهذا استرد آدم كرامته، وبرئ مما ألصق به من تهم[2] قال القرطبي في تفسيره: "لَمْ يَكُنْ إِخْرَاجُ اللَّهِ تَعَالَى آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَإِهْبَاطُهُ

---

1 - راجع عقيدة النصارى في ضوء القرآن الكريم: أد. صلاح عبد العليم إبراهيم، صـ١٣٤، دار الطباعة المحمدية، سنة ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

2 - راجع المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان صـ ١٢٨.

مِنْهَا عُقُوبَةً لَهُ؛ لِأَنَّهُ أَهْبَطَهُ بَعْدَ أَنْ تَابَ عَلَيْهِ، وَقَبِلَ تَوْبَتَهُ.... والصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نثر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم، ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف، فكانت تلك الأكلة سبب إهباطهما من الجنة، فأخرجهما لأنهما خلقا منها، وليكون آدم خليفة الله في الأرض، ولله أن يفعل ما يشاء، وقد قال: "إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" وهذه منقبة عظيمة ،وفضيلة كريمة شريفة"[1] .

وإذاً فهبوط أدم إلى الأرض، لم يكن عقابا على خطيئته كما يزعمون، بل تشريف له وتعظيم.

ونمنع كذلك قولهم أن آدم شبيه لله الوارد في كتابهم المقدس "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" تكوين١: ٢٦، لأن هذا شرك واضح ،لا يقول به من يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا النص يدل على تحريف كتابهم المقدس، لأنه تعالى ليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير، قال تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشورى: ١١، فالآية صريحة في نفي مماثلته تعالى لشيء من مخلوقاته، ونفي المماثلة يقتضي نفي المشابهة، ولا يحتج بالحديث الذي رواه البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا...."[2] ،ومعنى الحديث أن آدم خلق على صورته الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، وعَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي شوهد عَلَيْهَا، من غير أَن يكون من نُطْفَة قبله، أَو عَن تناسل، أَو تنقل، من صغر إِلَى كبر

---

1 - تفسير القرطبي: جـ١/صـ٣٢١ ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

2 - صحيح البخاري: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ بَدْءِ السَّلَامِ، رقم الحديث، ٦٢٢٧ ، جـ٨/صـ٥٠، ط: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

كالمعهود من أحْوَال أوْلَاده، بل خلق كَمَا كَانَ عَلَيْهِ من صلصال كالفخار، ثمَّ خلق فِيهِ الرّوح، وَلم يكن قطّ فِي صُلب وَلَا رحم، وَلَا كَانَ علقَة وَلَا مُضْغَة، وَلَا مراهقا وَلَا طفْلا، بل خلق ابْتِدَاء بشرا سويا، كَمَا شوهد على صورته[1]، وإذن فالضمير في قوله على صورته عائد على أدم ــ عليه السلام ــ لا على الله، وذلك كما خلَق الله السباعَ على صورها، والأنعام على صورها.

والصحيح في هذه المسألة أن الله عز وجل خلق آدم وأعده لخلافة الأرض التي خلق من ترابها، فكانت حقيقته إنسانية وبشرية لا إلهية كما ذكروا، والماهية الإنسانية قابلة للخطأ والصواب، والخير والشر، روى ابن ماجة بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"[2].

ونمنع ادعاءهم أن حواء عوقبت بالحمل والولادة، وسيادة الرجل عليها طيلة حياتها، إذ أن الحمل والولادة من الناحية النفسية للمرأة ليس بعقوبة، وإنما هو نعمة تنتظرها المرأة، بدليل أن المرأة العقيم تشعر بالنقص، ومن ثم الحزن عن التي تلد، فهي في الحقيقة ليست عقوبة، وإنما هو أمر محبب للمرأة حتى وإن كان فيه مشقة، وبالتالي ليس بعقوبة كما يزعمون.

وأما عن سيادة الرجل لها فهذا ليس بعقوبة بل هو سنة الله في خلقه، وهو بحسب الفطرة أمر محبب لنفسها، بدليل أن المرأة تحب أن

---

1 ـ مشكل الحديث وبيانه: ابن فورك ، صـ ٥٢، نشر: عالم الكتب ــ بيروت، ط: الثانية، ١٩٨٥م.

2 ـ سنن ابن ماجه: ، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، رقم الحديث: ٤٢٥١، جـ٢/صـ ١٤٢٠.

تتزوج مع علمها بسيادة من يتزوجها عليها، ولا تحب أن تبقى عانسا دون زواج.

ثم نقول لهم بعد ذلك أليست هذه العقوبات التي نالت آدم وحواء بزعمكم كافية للخلاص من الذنب، أم أنه لابد من ذبيحة إلهية تخلص الإنسانية من هذا الذنب؟

ثانيا: ذهب علماء الإسلام بناء على ماجاء في القرآن الكريم إلي تسمية هذه المخالفة ــ الأكل من الشجرة المنهي عنها ــ معصية أو زلة وقعت من آدم ــ عليه السلام ــ عن طريق النسيان ، وتاب عنها، وكان ذلك قبل بعثته، قال تعالى: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى طه: ١٢١، ١٢٢، يعني: ترك أمر ربّه بأكله من الشجرة، ومعنى فَغَوى: أي أخطأ ولم يصب بأكله ما أراد، وما وعد له من الخلود، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، أي اصطفاه ربه واختاره بالنبوة، فَتَابَ عَلَيْهِ، أي: تجاوز عنه وقبل توبته، وَهَدى يعني: هداه الله تعالى للتوبة بكلمات تلقاها[1].

وآية: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَي" يجب أن تفهم في ضوء نص قرآني آخر وهو {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}طه: ١١٥، وهذه الآية صريحة في أن مخالفة أدم كانت نسيانا، والناسي لا وزر عليه، كالصائم يأكل ويشرب ناسيا، ولا وزر عليه، وصيامه صحيح، روى البخاري بسنده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ

1 - راجع تفسير بحر العلوم: السمرقندي، جـ ٢/صـ ٤١٥.

صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ"[1] ومعنى الحديث فليبق ممسكا؛ لأنه لم يفطر أصلا، ومعنى (أطعمه الله وسقاه) أي أن الناسي يكون أكله أو شربه بغير قصد منه ولا حيلة، وأكل آدم عليه السلام من الشجرة من هذا القبيل، بدون قصد أو حيلة، وبالتالي لا ذنب عليه، وقد أكد المولى عزوجل هذا بقوله:{فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} وروى الطبري بسنده عن ابن زيد، في معنى الآية قال" فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه، قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذي حسده، وأبي أن يسجد له مع من سجد له"[2]، وفي هذا النسيان تعليم لنسله من بعده، فمن عصى منهم يلجأ إلى التوبة، وكان هذا النسيان قبل أن يبعث، إذ لم تكن له حينئذ أمة، بدليل قوله: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ}أي اختاره للرسالة، وسمي هذا النسيان عصيانا لمكانة آدم عند ربه، فقد خلقه بيده، وأسجد له ملائكته[3] وكما قيل: فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وعلى قدر صلة الإنسان بربه يكون لومه لنفسه وحسابه لها، ولذلك عندما حصل شكل المعصية لآدم؛ التجأ إلى ربه بالتوبة، فعفا الله عنه وتاب عليه.

وقال الخازن في تفسيره لقوله تعالى:{فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}"أي نسي عداوة إبليس له، وما عهد الله إليه.

وقيل: لم يقصد المخالفة استحلالا لها؛ ولكنه اغتر بحلف إبليس له إني لكما لمن الناصحين، وتوهم أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا.

---

1 - صحيح البخاري: كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ الصَّائِمِ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا، رقم الحديث ١٩٣٣ جـ٣/ صـ ٣١، وكِتَابُ الأَيْمَانِ والنذور: باب إِذَا حَنِثَ نَاسِيًا فِي الأَيْمَانِ، رقم الحديث ٦٦٦٩ جـ ٨/ صـ ١٣٦.

2 - جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، تحقيق أحمد شاكر ،جـ١٨/صـ ٣٨٣، نشر: مؤسسة الرسالة، ط:
الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

3 - انظر عقيدتنا: أد محمد ربيع الجوهري: جـ ٢، صـ ٦٣، ط وزارة الأوقاف المصرية،١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

وقيل: نسي ولم ينو المخالفة، فلذلك قال: ولم نجد له عزما، أي قصدا للمخالفة.

وقيل: بل أكل من الشجرة متأولا الشجرة التي نهي عنها، لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ

لا من المخالفة، وقيل: تأول أن الله تعالى لم ينه نهي تحريم"[1] .

ومما سبق يتضح أن مخالفة آدم عليه السلام لم تكن عن عمد أو قصد حتى تحسب عليه خطيئة وذنب يورثه البشرية كلها من بعده كما قُرر في اللاهوت المسيحي.

المسألة الثانية
وراثة الذنب في اللاهوت المسيحي

عقيدة وراثة الذنب في اللاهوت المسيحي تتلخص في أن آدم عليه السلام ــ لما عصى الله ــ تعالى ــ بالأكل من الشجرة المنهي عنها صار هو وجميع أفراد ذريته خطاة مذنبين، فخطيئة آدم عمت جميع نسله من بعده، ويوضح القس لبيب ميخائيل وراثة الخطيئة بقوله: " لقد كان آدم نائبا وممثلا لجميع الجنس البشري[2] الذي كان في صلبه يوم تعدى وصية الله ... فبعد طرده من الجنة ولد نسلا ساقطا نظيره في حالة الفساد الروحي والأدبي، وتحت حكم الموت والدينونة التي

---

1 ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: تفسير: الخازن جـ٣/صـ ٢١٦ .

2 ـ التعبير بالجنس البشري خطأ منطقيا، والصواب النوع البشري.

استحقها بعصيانه وتمرده على الله، وقد ورث هذا النسل عن أبويه الأولين حياة العداوة لله، والتمرد على شرائعه ووصاياه"[1].

ويستدل علماء اللاهوت المسيحي على هذه العقيدة بقول بولس" بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" رومية: ٥: ١٢، ومن هذا النص الإنجيلي يتضح أن خطيئة آدم ورثها كل أبنائه من بعده، وبالتالي فكل أبنائه ولدوا وهم حاملون لذنب الخطيئة الأصلية، وذلك لأن قانون الوراثة هو قانون عام تخضع له جميع الكائنات الطبيعية الحية، لذلك فمن الطبيعي أن يتسرب ذنب تلك الخطيئة إلى جميع أفراد الإنسان، بأن يصيروا جميعا خطاة بأفعالهم، كما ولدوا خطاة بطبيعتهم[2]يقول الكاتب المسيحي عوض سمعان: " بناء على قانون الوراثة لا يمكن لكائن أن يلد آخر مغايرا له، كما يقول علماء الأحياء وعلى رأسهم (ماندل)، فالخنزيرة مثلا لا يمكن أن تلد حملا، والشوك لا يمكن أن ينتج عنبا، وبما ان آدم قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة، التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلا، إذن كان أمرا بديهيا أن يولد أبناؤه جميعا خطاة بطبيعتهم نظيره، لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لا نجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا، "وقد شهد داود النبي بهذه الحقيقة من قبل فقال عن نفسه:"هاأنذا بالإثم صورت، وبالخطيئة حملت بي أمي" مزمور ٥١: ٥ "[3]

---

1 ـ قضية الصليب: لبيب ميخائيل صـ ٨١ ، المطبعة التجارية الحديثة ، ط: الأولى ، سنة ١٩٥٦م.

2 ـ راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ٢١.

3 ـ المرجع السابق صـ ١٩، وانظر إيماننا المسيحي صادق وأكيد: القس بيشوي حلمي ،صـ ٦٨.

ويذكر عوض سمعان اعتراضا على ميراث الخطيئة ويجيب عليه.

أما الاعتراض: ففحواه أنه ليس كل أبناء الأشرار يعملون الشر مثل آبائهم، فكيف يقال إن كل البشر يولدون خطاة بالطبيعة لأن آدم الذي ولد منه أجدادهم

منذ ألاف السنين قد أخطأ مرة.

ويجيب على الاعتراض بقوله:" إن كان بعض أبناء الأشرار لا يعملون شرورا مثل آبائهم، لكن ليس هناك واحد منهم لم يخطئ على الإطلاق، لذلك يكونون جميعا خطاة لا محالة، ومن ثم يكون السبب في وجود الخطيئة في البشر عامة يرجع إلى تناسلهم من آدم الذي هو أبوهم جميعا كما ذكرنا، ولا غرابة في ذلك فإن خطيئته لم تكن إصابة في جسده، بل كانت إصابة في نفسه بعينها..... وإصابة مثل هذه تنتقل طبعا من الأب إلى أبنائه، كما تنتقل العلل النفسية"[1].

ويشبه كالوني أحد علماء البروتستانت انتقال الخطيئة من آدم إلى أبنائه بانتقال الوباء فيقول:" حينما يقال استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس معنى ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء وقد حملنا ظلما ذنب آدم ....الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم العقاب فقط، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا، على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقا للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو وليس ذنب أحد غيره"[2] ويؤكد تشبيه الخطيئة بالمرض القس بيشوي حلمي إذ إنه يقول: " بما أن آدم " أصبح خاطئا قبل أن ينجب

---

1 ـ كفارة المسيح: للكاتب المسيحي عوض سمعان، صـ ٢١ ومابعدها.

2 ـ الخطيئة الأولى بين اليهودية والإسلام: أميمة شاهين صـ ١٤٠ ومابعدها، ط ، دار الزهراء القاهرة.

نسلا، إذن كان أمراً بديهيا أن يولد أبناؤه جميعا خطاة بطبيعتهم مثلـــه، وهكذا صار جميع الناس يولدون بطبيعة فاسدة، مثلهم في ذلك مثل من يولد من أبوين مريضين فيرث عنهما المرض والضعف"[1] .

ومن النصوص السابقة يتضح أن الخطيئـــة التـــي ارتكبهـــا آدم انتقلت إلى أبنائه كما ينتقل المرض من الأبوين المريضين إلى أبنائهما ،وأن هذا الذنب لم يترك أحدا من أبناء آدم حتى الأطفال الرضع قـــد ورثوه عنه، ولذلك لم يشم أحد منهم رائحة الجنة إذا مات قبل تعميده[2] وهذا ما أكده القديس أوغسطين بقوله" إن آدم ــ قبل السقوط ــ كانت له إرادة حرة، وكان في إمكانه أن يمتنع عن اقتراف خطيئته، لكنه لما أكل من التفاحة هو وحواء دخلهما الفساد الذي انتقل منهما إلى خلفهما كله، ولم يعد أحد من هذا الخلف يستطيع بقوتـــه الخاصـــة أن يمتنـــع عـــن الخطيئة، فلا سبيل أمام الناس إلى حياة الفضيلة إلا برحمة من الله؛ ولما كنا جميعا قد ورثنا خطيئة آدم حقت علينا اللعنة الأبدية جميعا، وكل من يموت بغير تعميد ــ حتى الرضع من الأطفال مـــصيره جهـــنم حيـــث يصلى عذابا لا ينتهي، وليس من حقنا أن نتذمر من هذا الجزء، لأننـــا جميعا أشرار"[3]، ويقول خليل أحمد: "وحتى من عهد قريب فإن الأطفال

---

1 ـ إيماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي ،صـ ٦٨.

2 ـ التعميد فريضة مقدسة في النصرانية، وهي رش الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ويكثر أن يغمس الشخص كله في الماء، ولابد أن يقوم بهذه العملية كاهن يعمد الإنسان باسم الأب والابن والروح القدس، إشارة إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس إله واحد، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهارا أمام كنيسة الله، انظر مقارنة الأديان المسيحية، د: أحمد شلبي، جـ٢/ ١٢٧ ، ط، مكتبة نهضة مصر، ط: الثانية، ١٩٦٥م.

3 ـ تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الكاثوليكية: برتراندرسل ،جـ٢: ٩٥ ترجمة زكي نجيب محمود، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.

غير المعمدين لا يدفنون في المقابر الموقوفة في البلاد النصرانية، وذلك لأنه كان يعتقد بموتهم في خطيئتهم الأصلية"[1].

ويفسر توماس الأكويني(١٢٧٤م) بأن الذنب الموروث تذنبه الروح؛ لكنه ينتقل إلى أعضاء وجوارح الإنسان[2].

وحول وراثة الأبناء للخطيئة سئل البابا شنودة الثالث، هل ورث الإنسان خطية آدم نفسها، أم ورث الطبيعة الفاسدة التي نتجت عنها؟

وأجاب بقوله:" استطيع أن أقول إنه ورث كليهما..ولعلك تقول ما ذنبنا نحن، فأجيبك بأمرين:

١ــ لقد كنا في صلب آدم حينما أخطأ، فنحن لسنا غرباء عنه، وإنما جزء منه.

٢ ــ عملية الفداء تحل مشكلة "ما ذنبنا نحن"[3].

ومما سبق يتبين أن كل أبناء آدم ــ عليه السلام ــ ورث الخطيئة والذنب عنه، وكأن الخطيئة تركة لابد وأن يأخذ كل واحد من الورثة نصيبه منها، وهذا الميراث دين على كل أبناء آدم، ومن ثم لا يمكن لواحد منهم أن يدخل الجنة، أو يقترب منها قبل أن يسدد هذا الدين، يقول القس بيشوي حلمي "لقد أخطأ آدم فطرده الله من الجنة، وسرى الحكم إلي جميع ذريته، فلم يتمكن واحد من كل نسله عبر التاريخ البشري كله من الدخول إلى الفردوس أو الاقتراب منه، إلا بعد الفداء،

---

1 ـ الغفران بين الإسلام والمسيحية: إبراهيم خليل أحمد، صـ ١١٠ ، دار المنار للنشر والتوزيع ، ط: أولى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

2 ـ هل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار صـ١٦٩.

3 ـ إيماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي ،صـ ٦٩.

وظل الجنس البشري كله مطرودا من الجنة.....مثلهم في ذلك مثل الأولاد الذين يولدون من أب فقير فيعانون بسببه الفقر"[1].

ما سبق هو تقرير لعقيدة وراثة الذنب في اللاهوت المسيحي، فالإنسان في المسيحية لا يملك لنفسه شيئا، فهو مدنس بالخطيئة دون اختيار منه، ومهما حاول أن يتوب ، أو أن يعمل الخير، فإن الخطيئة الكبرى لا تزال باقية بداخله، ولا خلاص إلا بوجود من يحملها بالتضحية، وهذا ماتقتضية عدالة الله في زعمهم، وإذن لابد من تدخل رحمته بأن يخلص البشرية من هذا الذنب بفدية، وسوف أقوم بتوضيح هذا؛ لكن بعد مناقشتهم في هذه العقيدة مبينا في ذلك موقف الإسلام منها.

مناقشة عقيدة الخطيئة والذنب الموروث في اللاهوت المسيحي

ما قرره المسيحيون بشأن ميراث الخطيئة والذنب ينافي الحق، ويتصادم مع العقل، ويتناقض مع النصوص الواردة في كتابهم المقدس، بل وفي كل الكتب السماوية التي تقرر أن الإنسان يحاسب على عمله من خير أو شر، وبيان ذلك:

١ــ القول بوراثة الذنب يتصادم مع العقل، إذ أنه في قمة الظلم أن ندين النوع الإنساني بأكمله بخطيئة ارتكبت من آلاف السنين عن طريق أبويه، حتى ولو لم يتوبا منها، لأن الخطيئة بحسب المفهوم الديني هي المخالفة عن عمد وقصد لما فرضه الله عز وجل على الإنسان، ومن ثم المسؤولية عن هذه الخطيئة والعقاب عليها، وهذا العقاب يكون على الشخص الذي ارتكبها، لا على أولاده، وذلك لأن الإنسان يولد مزودا

---

1 - المرجع السابق: صـ ٦٨.

بإرادة حرة يستطيع بها اكتساب فعل الخير، أو فعل الشر، وحين يكون بالغا ويصبح قادرا على التمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، ثم يسئ استخدام حريته، فيقع فريسة لإغواء الشهوات، حينئذ يقع في الخطيئة والشر[1]، ويتحمل هو نفسه مسؤولية خطيئته، ولا يتحملها أبناؤه، فإذا تاب وعاد إلى الله، تاب الله عليه، وهذا ما أكده نص التوراة "فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقا وعدلا، فحيوة يحيا لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره" حزقيال،١٨: ٢١ــ ٢٢.

وقد رفض" كانت" عقيدة الخطيئة والفداء، لأنها تصادم العقل فهو" يعتبر الخطيئة مسئولية فردية حسب نتائج العقل العملي، و يترتب على هذا أن كل إنسان يلزم أن يكفر عن نفسه، لا أن يكفر عنه آخر"[2].

وبهذا يتضح أن القول بميراث الخطيئة باطل ولا يقبله عقل، لأنه ظلم، والله عز وجل منزه عنه.

أما تشبيه النصارى ميراث الخطيئة والذنب بالوباء والمرض النفسي الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء، فهو باطل، لأن المرض بالنسبة للإنسان اضطراري وليس اختياري، والذنب يقع من الإنسان باختياره، ومن ثم تشبيهه بالمرض غير صحيح، فالإنسان يحاسب على اختياره وكسبه لفعل الشيء، ولا يحاسب على أفعاله الاضطرارية، أو ما يعتريه من مرض أو صحة.

---

1 ـ راجع العقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهية: أد. عبد العزيز سيف النصر، صـ ٨٢، مطبعة الجبلاوي ، ط: الأولى،١٩٩٢م.

2 ـ المعقول واللامعقول في الأديان: محمد عثمان الخشت صـ١٦٠، نهضة مصر، ط: أولى، ٢٠٠٦م.

كما أن تشبيههم انتقال الذنب من الأب إلى الابن كانتقال المـــرض، فهو تشبيه غير مقبول عقلا، لأن مرض الأب قد يرثه الابـــن، وقـــد لا يرثه، أما الذنب فهم جازمون بميراثه لجميع الأبناء، وفي كل الأحوال، بل ومعاقبون على هذا الذنب الموروث.

ومما يدل على بطلان وراثة الذنب، أن الأنبياء السابقين ليس فيهم من ذكر خطيئة آدم وسأل الله أن يغفرها له، وهذا يدل على أنها من مخترعات اللاهوت المسيحي، إذ أنهم لو كانوا عالمين بها قبل مجئ المسيح للزم من هذا أنهم كانوا يدعون إلى ضلالة، وأنهم قد أخطأوا الطريق، إذ لم يرشدوا الناس إلى حقيقة تلك الخطيئة وخطورتها[1].

وأخيرا نقول لهم لئن كانت الخطيئة الأصلية انتقلت إلى كل ذريـــة آدم، فلماذا لم تنتقل إلى شخص المسيح ــ عليه السلام ــ الإنـــساني؟ فهو قد ولد مثل جميع الناس من بطن مريم رضي الله عنها[2].

٢ ـ إبطال قولهم بوراثة الذنب من كتابهم المقدس

ورد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد نصوص عديدة تنفي وراثة الذنب، وتؤكد أن كل إنسان مسؤول ومتحمل لتبعة أعماله، ومن ذلك " النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمـــل مـــن إثـــم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون وإثم الـــشرير عليـــه يكون"حزقيال١٨: ١٩ــ٢٠، ونلاحظ أن هذا النص يتناقض مـــع مـــا ذكروه من وراثة الخطيئة والذنب.

---

1 ـ راجع دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف، صـ: ٣٢٨، نشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

2 ـ راجع ماهي النصرانية: محمد تقي الدين العثماني، صـ٨٩ في الحاشية ، ط: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.

وفي كتاب النبي أرمياء" في تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصرما وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه"أرمياء ٣١ :٢٩ ــ٣٠.

ومن هذين النصين يتضح بطلان القول بوراثة الخطيئة والذنب، فالنص الأول صريح في أن الابن لا يحمل إثم الأب، والنص الثاني أيضا صريح بأن كل واحد يموت بذنبه هو لا بذنب أبيه.

وفضلا عن النصيين السابقين ورد نصوص فيها ذكر العديد من الرجال والنساء الذين قاوموا الإغراءات والشهوات، وهذبوا الميول الشريرة، وعاشوا حياة كلها إيمان وتقوى، وفي تناسق تام مع إرادة الله تعالى، ومن هؤلاء الأبرار الذين لم تكبلهم الخطيئة، أخنوخ ونوح وأيوب ويوحنا المعمدان[1]، وعديدين آخرين كانوا كاملين ومستقيمين وبعيدين عن الشر[2]، فورد عن أخنوخ في سفر التكوين "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه" ٥: ٢٤، وقال بولس: "بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يري الموت، ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله" عبرانيين ١١: ٥ ، وورد في نوح "وكان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله، وسار نوح مع الله" التكوين ٦: ٩ ، وفي إبراهيم "بارك الله إبراهيم في كل شيء" التكوين ٢٤: ١، وورد عن أيوب ـــ عليه السلام ــ أنه قال عن نفسه أنه بريء من الذنب والإثم "قلت أنا بريء بلا ذنب، زكي أنا ولا إثم لي" أيوب ٣٣: ٩ ، وجاء في يوحنا أن

---

1 ـ هو يحي ابن زكريا ـ عليهما السلام ـ مهيء طريق المسيح، وأبوه زكريا الشيخ، وزوجته أليصابات، وكلاهما من نسل هارون عليه السلام، ولد قبل المسيح بستة أشهر، قاموس الكتاب المقدس: صـ ١١٠٦.

2 ـ راجع الغفران بين الإسلام والمسيحية: إبراهيم خليل أحمد، صـ ١١٠.

المسيح قال عنه:" الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المَعمدان" متى: ١١: ١١ .

ومن النصوص السابقة يتبين لنا أن أيوب ونـــوح وإبـــراهيم وداود ويوحنا لم يكونوا حاملين لهذا الذنب الموروث.

فإن قيل: هؤلاء أنبياء وقد عفا الله عنهم مـــن أجـــل تحملهـــم النبـــوة والرسالة.

قلنا لهم: فلم لم يعف عن باقي أبناء آدم من غير دم أو فداء.

وقد أثنى العهد الجديد على أشخاص غير الأنبياء، ووصفهم بالـــصلاح والبر، فدل ذلك على عدم حملهم للخطيئة الأصلية، ومن هؤلاء علـــى سبيل المثال هابيل بن آدم الذي تقبل الله منه ذبيحته لـــصلاحه، ولـــم يقبلها من أخيه فلم تمنعه خطيئة أبيه آدم من أن يكون عند الله مقبـــولا "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين، فبه شهد له أنه بار، إذ شهد الله لقرابينه" عبرانيين ١١ : ٤.

وأيضا ذكر لوقا قصة الفقير المسكين الجائع الذي مات مـــن شـــدة الجوع أمام باب الغني، وقد شهد المسيح بنجاة المسكين، وهلاك الغني، وكان موته قبل الصلب المزعوم للمسيح "كان إنسان غني وكان يلـــبس الأرجوان[1] والبر وهو ينعم كل يوم مترفها، وكان مسكين اسمه لعاذر الذي طرح عند بابه مضروبا بالقروح، ويشتهي أن يشبع مـــن الفتـــات الساقط من مائدة الغني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه، فمـــات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الفتى أيضا ودفن،

---

1 - الأرجوان ثياب غالية الثمن لونها بنفسجي أو أحمر، يلبسها الأغنياء وذوو المكانة الرفيعة، و كان يلبسه الملوك، وعندما ألبس الجند المسيح عليه السلام ثوب الأرجوان قصدوا بذلك السخرية والاستهزاء من قوله أنه ملك، راجع قاموس الكتاب المقدس:شرح كلمة الأرجوان، صـ ٤٥.

فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه، فنادي وقال يا أبي إبراهيم ارحمني" لوقا ١٦: ١٩ــــ ٢٢، فهذا النص يشهد بنجاة المسكين ودخوله الجنة المحرمة على كل الناس من بعد خطيئة آدم ــ عليه السلام ــ حتى صلب المسيح في زعمهم، وفي الكتاب المقدس نصوص عديدة غير النص السابق تشهد لكثيرين بالبر والصلاح ولو كانوا وارثين للخطيئة والذنب ما شهد لهم الكتاب المقدس بالبر والنجاة.

ووردت نصوص أخرى في العهد الجديد تقضي ببطلان وراثة الذنب، وتبين أن كل إنسان محاسب على عمله، ولا يتحمل أحد ذنب غيره، ومن ذلك على سبيل المثال: ما جاء في رسالة بولس إلي أهل رومية "سيجازى كل واحد حسب أعماله" رومية: ٢: ٦ ، وفي متى "ماذا ينتفع الإنسان إذا ربح العالم كله وخسر نفسه...فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله، ١٦: ٢٦،٢٧.

٣ ـ إبطال عقيدة الذنب الموروث بأقوال بعض النصارى

ومما يبطل عقيدة وراثة الذنب رفض كثير من النصارى لها، إذ أن القول بميراث الخطيئة ظلم وتحمل تبعات ذنب لم يرتكبه الإنسان، ولم يستشر فيه، بل ولم يشهده، إذ أنه كان قبل وجوده، فكيف يتحمل نتيجة ذنب لا دخل له فيه؟

وممن أنكر ميراث الخطيئة الأصلية الراهبان الانجليزيان اللذان عاشا في أواخر القرن الرابع وبداية الخامس، بيلاجيوس وسليتوس، والراهب جوليان، فهم جميعا لا يعترفون بميراث الخطيئة، واعتبروا هذا

الاعتقاد يمنع من السعادة الأبدية، وقالوا إن الإنسان موكول بعمله، وهم يؤمنون بحرية الإرادة في قضايا الخير والشر، وبأنه ليست هناك ثمة عوائق تتدخل في حرية الاختيار للبشر، وعلى هذا في مقدور الإنسان أن يعيش حياة تصل إلى مرتبة الكمال[1].

يقول ساويرس بن المقفع: "وفلسفة بيلاجيوس تهدم الرأي الكاثوليكي الذي يقول: بأن الخطيئة الكبرى للإنسان الأول آدم قد أسقطت عن بني البشر الامتيازات الفضال التي كان الله أودعها في آدم وقت الخلق، كما ترفض البيلاجية من هذا المنطلق فكرة أن السقوط الأول في جنة عدن قد أورث بني آدم جميعا نزوعا نحو الإثم، وإنما بشر بيلاجيوس بأن الطبيعة البشرية لكل مخلوق فرد تشبه طبيعة آدم البكر النقية وقت الخلق، أي قبل السقوط، وهذا يعني أنها لم ترث أوزار الإثم الأول، ومن هنا فالإنسان حر تماما ..... ومن ثم فليس هناك مبرر لمعمودية جديدة ولا لنظرية الفداء"[2].

ومن المنكرين لعقيدة وراثة الخطيئة والذنب الدكتور نظمي لوقا حيث قال عند حديثه عن الآثار النفسية المترتبة على هذه العقيدة والتي يسميها باللعنة: "الحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال الفرد، فيمضي حياته مضني المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

---

1 - راجع تاريخ البطاركة : ساويرس ابن المقفع ، جـ١/٢٧٤ ، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، ط: الأولي ٢٠٠٦م.

2 - المرجع السابق جـ١/٢٧٥ .

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقا، ورد اعتبار لاشك فيه، إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه"[1].

ويقول في موضع آخر:"وإن أنسى لا أنسى ما ركبني صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم ذلك الوصف المثير لمخيلة الأطفال، وكيف تتجدد وفيها الجلود كلما أكلتها النيران جزاءً وفاقا على خطيئة آدم بإيعاز من حواء، وأنه لولا النجاة على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين.

وإن أنسى لا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري عن ملايين البشر قبل المسيح أين هم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة، فكان لابد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة، وتطمئنهم إلى العدالة التي لا تأخذ البريء بالمجرم، أو تزر الولد بوزر الوالد وتجعل للبشرية كرامة مضمونة"[2]

ويقول الميجور جيمس براون عن عقيدة الذنب الموروث بأنها "فكرة مستقذرة، لا توجد قبيلة اعتقدت سخافة كهذه"[3] .

وينتقد الكاتب المسيحي الذي أسلم عبد الأحد داود، قصة وراثة الخطيئة فيقول: "إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا

---

1 ـ محمد الرسالة والرسول: د، نظمي لوقا صـ ٧٨ ، نشر دار الكتب الحديثة القاهرة، ط: الثانية، ١٩٥٩م.

2 ـ المرجع السابق صـ ٧٥ وما بعدها.

3 ـ مخطوطات البحر الميت: أحمد عثمان صـ ١٥٤، نقلا عن هل افتدانا المسيح على الصليب، صـ ١٧٧.

السر اللاهوتي، وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظل مكنوما عن كل الأنبياء والصالحين السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب" ويذكر الكاتب أن مما حمله على ترك المسيحية هو هذه المسألة وظهور بطلانها[1].

وقال القس إبراهيم خليل فليبس أستاذ اللاهوت وراعي الكنيسة الإنجيلية الذي أسلم: "ومن المنطق أن يعتبر الإسلام مبدأ الخطيئة ذروة الظلم لإدانة كافة الجنس البشري لخطيئة اقترفت من آلاف السنين مضت بواسطة أبوينا الأولين.... إن المسؤولية والملامة باقتراف الخطيئة الأصلية، ينبغي أن يقع على الإنسان التي والذي اقترفها وليس على أولادهم" ثم علق في الحاشية بقوله " ومن المفارقات في التوراة لعنة نوح لكنعان حفيده لا لحام ابنه، تكوين ٩: ٢٥ ــ ٢٧، وفي هذا دلالة على أن هذا الكلام ليس تنزيلا من الله الرحمن الرحيم، ولكنه من تدوين أحبار اليهود لغاية في نفوسهم"[2].

ومن كل ما سبق تنهار عقيدة وراثة الذنب بالعقل، وبنصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وبشهادة الكثير من علماء النصارى.

٤ـ موقف الإسلام من عقيدة وراثة الخطيئة والذنب

الإسلام ينكر وراثة الخطيئة والذنب، ويقرر أن الخطيئة كسب لا وهب، وعرض حادث لا إرث، فكم من أبوين صالحين أنجبا أولادا فجرة، وكم من بيوت منحلة أنجبت علماء وصالحين، ومن الفاسد يخرج العابد، ومن العابد يخرج الفاسد، وكما أن النار تولد النار فهي أيضا

---

1 ـ الإنجيل والصليب الأب عبد الأحد داود صـ ٧ وما بعدها، طبع القاهرة، ١٣٥١ هـ.

2 ـ الغفران بين الإسلام والمسيحية: إبراهيم خليل أحمد، صـ ١٠٩.

تخلف الرماد، وكثيرا ما شاهدنا أخوين شقيقين تربيا في نفس البيئة، ولكنهما اختلفا في السلوك والأخلاق، فيكون أحدهما من الصالحين والآخر من الفاسدين، وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام والده كافر شرير، وهذا نوح البار ولده في الدرك الأسفل من النار، فالإنسان إذن يولد من غير أن تكون الخطيئة مركوزة في فطرته، وهو قابل للترقي بالإحسان وقابل للتدني بالإساءة، كل حسب إيمانه وعمله[1] قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ،ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ،إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} التين: ٤ ــ ٦.

وإذا فالإنسان يولد صالحا نقيا لا ذنب له، وقد وردت روايات عديدة في السنة النبوية، يفهم منها أن الإنسان العاصي إذا تاب وعاد إلى الله عز وجل، وعمل الصالحات كالحج والصوم والجهاد، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهذه الأحاديث في جملتها تدل دلالة واضحة على أن الإنسان يولد بلا إثم، وبلا ذنب، ومن ذلك على سبيل المثال ما رواه البخاري بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"(٢) قال ابن حجر: معنى" كما ولدته أُمُّهُ " أَيْ عَارِيا من الذُّنُوب[3].

وإذن فالحديث يدل على أن الإنسان يولد نقيا طاهرا خالياً من الذنوب، لكنه يولد على الفطرة، بمعنى أنه عنده الاستعداد لقبول الخير وقبول الشر، والبيئة التي يولد فيها يكتسب منها فعل الخير أو الشر،

---

1 ـ راجع المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان، صـ ١٢٤.

2 ـ صحيح البخاري ، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {فَلا رَفَثَ} رقم الحديث ١٨١٩ ،جـ٣/صـ ١١.

3 ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: بن حجر العسقلاني، جـ٤/صـ ٢٠، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

روى البخاري بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...."[1].

والإنسان في الإسلام يولد بلا ذنب ويظل نقيا من الإثم والذنب إلى أن يصل إلى سن الاحتلام أو البلوغ، بدليل ما رواه ابن ماجه بسنده عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ..."[2]، ومعنى رفع القلم أي رفع الإثم والمؤاخذة، فالقلم هنا قلم السيئات، والمعنى: أنه إن جاء قبل الحلم بشيء أو بمعصية لا يأثم؛ لأن هذا دون التكليف، إنما هو محاسب بعد التكليف، قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ــ رضي الله عنه ــ :"الصَّغِيرُ تُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتُ"[3].

ومن النصوص السابقة يتضح أن الإنسان في الإسلام يولد نقيا من الذنوب، بل يظل نقيا منها إلى أن يصل إلى سن التكليف، وإذن فقول النصارى بوراثة جميع أفراد الإنسان خطيئة آدم، واستحقاقهم العقاب عليها بحرمانهم من الجنة يتنافي مع ما قررته السنة النبوية، ويتنافي مع المسؤولية الفردية في الإسلام، كما قرر القرآن، قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حملها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} فاطر:١٨، ومعنى الآية أنه لا يتحمل أحد عقوبة إثم اقترفه غيره، وهو مبدأ أجمعت عليه كل العقول، وكل الشرائع

---

1 ـ صحيح البخاري كتاب تَفسِير القُرْآن، باب لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، رقم الحديث ٤٧٧٥، جـ٦/ صـ١١٤.

2 ـ سنن ابن ماجه: كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ طَلَاقِ المَعْتُوهِ وَالصَّغِيرِ وَالنَّائِمِ، رقم الحديث: ٢٠٤١ ، جـ١/صـ ٦٥٨.

3 ـ الاستذكار : أبو عمر يوسف القرطبي، جـ٣/صـ ٣٩، تحقيق: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م.

السماوية، يقول البغوي في تفسيره للآية السابقة :"وَإِنْ تدع مثقلَة، أي نفسٌ مثقلَةٌ بذنوبِهَا غيْرَهَا، إلى حِمْلِها، أي حمل ما عليها مِنَ الذنوب، لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبى، أي ولَو كَان الْمدعو ذا قرابة لَه، ابنهُ أَو أَباهُ أَوْ أُمهُ أَو أَخاه، قَال ابن عباس: يلقى الأب والأُم ابنه فيقول: يابني احمل عني بعض ذُنوبي، فيقول:لَا أستطيع حمل شيء، حسبي ما علَي[1].

والآيات الواردة في تحمل كل إنسان نتيجة عمله كثيرة منها قوله تعالى: {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رهينٌ} الطور:٢١، وقوله تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } فصلت:٤٦، وقال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}البقرة: ٢٨٦، وقال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} البقرة: ٤٨، وقال تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}النجم:٣٩، وقال تعالى:{يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} لقمان:٣٣، وقال تعالى:{مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} سورة الإسراء 15.

إن كل الآيات السابقة تؤكد على مسؤولية كل فرد عن أعماله، والمولى عزوجل يوضح في الآيات أنه لا يحاسب أحد مكان الآخر، أو أن يفدي أحد عن الآخر، والدليل على هذا من القرآن الكريم فضلا عن ما سبق من الآيات قوله تعالى:{يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي

---

1 ـ تفسير البغوي : جـ٣/صـ ٦٩٢،نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى}المعارج: ١١ – ١٥، ومعنى الآيات: يبصرونهم أي يرونهم ويعرفونهم، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا، يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته، وبجميع مَن في الأرض مِنَ البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب الله، لكن ليس الأمر كما تتمناه أيها الكافر من الافتداء، إنها جهنم تتلظى نارها وتلتهب، ومن يستحق العقاب، يعاقبه الله عز وجل ولا يقبل منه فداء أبدا[1].

وإذن فالإسلام لا يحمل أحدا ذنب غيره، وفي هذا يقول العقاد: "إذا كان في الأديان دينا يحاسب الإنسان "على خطيئة ليست من عمله، فليس في الإسلام إنسان ينجو بالميلاد، أو يهلك بالميلاد، ولكنه الدين الذي يوكل فيه النجاة والهلاك بسعي الإنسان وعمله"[2] ومن كل ما سبق يتضح بطلان عقيدة وراثة الخطيئة والذنب.

مصدر اللاهوت المسيحي في عقيدة وراثة الخطيئة

هذه العقيدة الباطلة معروفة في الفكر اليهودي وقد وردت نصوص كثيرة في العهد القديم تتحدث عن وراثة الذنب، من ذلك على سبيل المثال: "لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب" تثنية ٢٣ : ٢، ومنها "غافر الإثم والمعصية ولكنه لن يبرئ إبراء ، مفتقد إثم الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع" سفر الخروج ٣٤: ٧، ومثل ما نسبه

---

1 ـ راجع التفسير الميسر :جـ١/صـ ٥٦٩، لنخبة من أساتذة التفسير، السعودية، ط: الثانية، ١٤٣٠هـ.

2 ـ التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، صـ ١٧، ط: مؤسسة دار الهلال، القاهرة، سنة، ١٩٨٨م.

اليهود إلى سيدنا داود عليه السلام أنه قال هأنذا بالإثم صورت، وبالخطيئة حملت بي أمي" المزمور ٥١: ٥.

ويقابل النصوص السابقة بالتناقض[1] قول حزقيال: "النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون وإثم الشرير عليه يكون"١٨: ١٩ــ٢٠، والتناقض الوارد بين النصوص يدل على تحريف كتابهم المقدس.

فمن أين جاء اليهود بفكرة وراثة الذنب ؟ هل هي مبتكرة من عندهم، أم أنها منقولة عن غيرهم؟

الصحيح أنها منقولة عن الأمم الوثنية التي جاورت اليهود وانتشر فيها هذا الفكر، ونقلها بولس -الذي كان في الأصل يهوديا- إلى المسيحية.

وإذا فقد تأثر اللاهوت المسيحي باليهود الذين تأثروا في عقيدة وراثة الخطيئة بالأديان الوثنية القديمة، فكان ذلك معروفا عند الرومان وفي شريعة حمورابي، حيث كان الأب مسئولا عن الأسرة في الشريعة الرومانية، متصرفا في أرواحها وأموالها، وكان أحد الناس مثلا إذا قتلت ابنته، يتسلم ابنة القاتل ليقتلها عوضا عن ابنته دون ما جريرة منها[2].

و قد يكون مصدرهم في هذه العقيدة من الهنود فقد ورد في تضرعاتهم "إني مذنب ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني

---

1 ـ التناقض: هو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته أن يكون إحداهما صادقة، والأخرى كاذبة، تحرير القواعد المنطقية: قطب الدين الرازي ، تعليق أد. محمد ربيع الجوهري صـ١٨٢ ، ط: مكتبة الإيمان، ط: الأولى، ٢٠١٣ م.

2 ـ العقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهي: أد .عبد العزيز سيف النصر، صـ ٨٦.

أمي بالإثم، فخلصني ياذا العين الحندوقية، يا مخلص الخاطئين يا مزيل الآثام والذنوب[1]، وهذا بعينه ما قرره اللاهوت المسيحي.

إن عقيدة وراثة الخطيئة الأولى في اللاهوت المسيحي هي أساس عقيدة الفداء، وقد اتضح لنا بطلان هذه العقيدة بالعقل، وبالنصوص الواردة في الكتاب المقدس، وبأقوال علماء النصارى، وبما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والفكر الإسلامي، وقد ظهر لنا أن اللاهوت المسيحي قد أخذ هذه العقيدة من الديانات الوثنية القديمة، وإذاً فما بني على باطل فهو باطل، ومع هذا رأينا المسيحيين ــ كما سبق ــ يجزمون بميراث خطيئة آدم لجميع أبنائه، وهذا ما تقتضيه العدالة الإلهية في زعمهم، لكن بتدخل رحمته تعالى كان الفداء والخلاص لكل البشر، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية.

المسألة الثالثة
العدالة الإلهية في اللاهوت المسيحي

يرى علماء اللاهوت المسيحي أن الله عز وجل متصف بالعدالة والرحمة التامتين، وعدالته عزوجل تقتضي توقيع عقوبة على آدم وذريته مقابل الخطيئة الأولى، والخطايا الموروثة منذ أن عصى آدم إلى المسيح ــ عليهما السلام ــ لكنه تعالى لو فعل ذلك لا يكون رحيمًا، كما أن فيه انتصارا للشيطان على الله عزوجل.

وإذا عفا الله عن الإنسان فلم يعاقبه كان ذلك منافيًا لعدله، فلا يكون عادلاً، وإذا قلنا بجواز العفو عن الخطيئة الموروثة، فإن ذلك القول يعد

---

1 ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروني، صـ ٧٥، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي، ط، دار عمران بيروت، ط، الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

إنكارا للعدالة الإلهية التامة، فلابد من وسيط بين عدل الله ورحمته، فأنزل الله عز وجل ابنه الوحيد ليكون الوسيط والفداء الذي يقع عليه العدل، فيعذب على الصليب حتى الموت، فيكون موته فداءاً لبني آدم، فيمكن بعد ذلك رحمة بني آدم، لأن العقاب قد حل بالوسيط المخلص، فالمسيح هو الذي جمع بين عدل الله ورحمته، وفتح باب رحمة الله لخلقه مرة أخرى، وفي هذا يقول القس بيشوي حلمي: "والآن بعد سقوط الإنسان أمامنا عدة احتمالات:

١ــ أن يترك الله الإنسان ليموت ويفنى إلى الأبد، وفي ذلك انتقاص لمحبة الله ورحمته، كما أن هذا انتصار لمملكة الشيطان على الله وعلى مقاصده في خلقة الإنسان، وإذن لا يمكن أن يفعل الله ذلك.

٢ ــ إما أن يسامح الإنسان ويغفر له وفي هذا انتقاص لعدل الله، كما أن هذه المغفرة لن تجدد طبيعة الإنسان التي فسدت بالتعدي والعصيان، إذن لا يمكن أن يفعل الله ذلك.

٣ ــ إما أن يجد من يفدي الإنسان، ويموت عنه شخص، يموت نيابة عن الإنسان، وبذلك يفديه من الموت، وفي الوقت نفسه يتمم حكم الله ..... إذن الحل الوحيد هو أن يأخذ الله جسدا إنسانيا، ويقبل في هذا الجسد حكم الموت بدلا من الإنسان، وفي هذا كل الرحمة للإنسان، وكل العدل لله"[1].

ويقول فيليب معزوز: "أن عدل الله ورحمته....لا يمكن تسيطر صفة على أخرى، أو تطغى عليها، وبالتالي لن يتصرف الله أي تصرف

---

1 - راجع إيماننا المسيحي صادق وأكيد ، للقس بيشوي حلمي ،صـ ٦٤.

مطلقاً تدعو إليه رحمته، ويكون مناقضا لعدله، أو يعمل ما يطلبه عدله وفي ذات الوقت يناقض رحمته، فهو لن يجعل رحمته تعطل عدله"[1].

وإذا سألنا علماء اللاهوت المسيحي وقلنا لهم ألا توجد وسيلة للخلاص من خطايانا إلا بافتداء المسيح الإله عندكم بنفسه ؟.

ويجيب على هذا السؤال عوض سمعان بالآتي:

(أ) نحن لا نستطيع بعقولنا أن نعرف كل أفكار اللّه وتدبيراته، لأن إدراكنا محدود، وهو فوق الحدود، فمن الشطط أن نتصوّر خطة خاصة يتحتم على الله أن يستخدمها في أمر خلاصنا من الخطية، لكن بحسب العقل الذي تفضّل وأعطاه لنا نقول: لو كان من الجائز أن تقل عدالة اللّه وقداسته عن رحمته ومحبته، لكان من الجائز أن ينقذ جميع البشر من خطاياهم ويقربهم إلى حضرته بكلمة واحدة، كما خلق العالم من قبل بمثل هذه الكلمة، لكن بما أن عدالته توازي رحمته، وقداسته توازي محبته بسبب كمال كل صفة من صفاته وتوافقها معاً توافقاً تاماً، إذاً فمع رحمته ومحبته اللتين لا حدَّ لهما، فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، ألا يتساهل في شيء من مطالب عدالته وقداسته، وبما أنه لا يستطيع سواه أن يوفي مطالب هذه وتلك، فلا سبيل للخلاص من الخطية ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه.

(ب) أما لو صفح اللّه عنا وقرّبنا إليه دون أن يفتدينا بنفسه، لانخفض قدر عدالته وقداسته عن رحمته ومحبته، أو لكان قد انحاز إلى رحمته ومحبته دون عدالته وقداسته، وبما أنه لكماله المطلق لا يمكن أن تقل عدالته عن رحمته أو قداسته عن محبته، ولا يمكن أيضاً أن ينحاز إلى

---

1 ـ الصليب وقصده الكوني : فليب معزوز صـ٨٧.

صفة فيه دون أخرى، إذاً فمن المؤكد أنه يقبل القيام بافتدائنا بنفسه، لأن هذا يكون أكثر موافقةً لكماله من الصفح عنا وتقريبنا إليه بوسيلة لا تتفق مع عدالته وقداسته.

وبالإضافة إلى كل ما تقدم، فإنه أيسر لنا أن نؤمن بإله يحب خليقته ويبذل كل ما لديه في سبيل إسعادها، من أن نؤمن بإله غير كامل الصفات أو ينحاز إلى صفة دون الأخرى[1].

مما سبق يتبين لنا أن علماء اللاهوت المسيحي يرون أنه لكي يتم التوفيق بين عدالة الله ورحمته لابد من فدائه لنا بنفسه، ومن هذا المنطلق ــ حتمية الجمع بين عدل الله ورحمته ــ كان من الضروري أن يقدم الله ابنه للصلب تكفيرا عن خطايا البشر، يقول القس لبيب ميخائيل"إننا نعتقد بحتمية الإيمان بأن المسيح هو الله، على أساس إيماننا بحتمية فداء الله للإنسان، ونؤمن بحتمية الفداء
على أساس إيماننا بعدل الله ورحمته"[2].

ويرى علماء اللاهوت المسيحي أنه لا تكفي توبة الإنسان، أو أعماله الصالحة من الصلاة والصيام والصدقة للتكفير عن الخطيئة الموروثة، فكل أعمالنا الصالحة التي نقوم بها نحن الخطاة مهما سمت فهي مقدمة لله بنفس ملوثة بالآثام والشرور، وأيضا هذه الأعمال محدودة لا تستطيع أن تغطي أو تمحو الإهانة غير المحدودة المرتبطة بالله الأبدي غير

---

1 ـ راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ ١٠٣، ومابعدها، الصليب وقصده الكوني : فليب معزوز صـ٤١.

2 ـ هل المسيح هو الله: القس لبيب ميخائيل، صـ٧٩ ومابعدها، مطبوعات المعمداني، ط: الأولى، ١٩٦٩م.

المحدود، والتي وجهناها الله بتعدينا على وصيته، ولا تستطيع أن تعيد لعدالة الله كرامتها بالدرجة التي تصبح معها كأنه لم يعتد عليها [1].

وإذن فالتوبة أو العفو من الله تعالى يعد تعديا على كرامة العدالة الإلهية، وخرقا للناموس الإلهي، ويؤكد هذا جولدساك فيقول"يجب أن يكون واضحا ــ كضوء النهار ــ لأي واحد، أنه من المستحيل أن يحرق الرب قانونه، أنه لا يستطيع أن يعفو عن مذنب دون أن يوقع عليه عقابا يتناسب مع ذنبه، لأنه إذا فعل ذلك فمن يستطيع أن يسميه عدلا ومنصفا"[2].

وفي تبرير علماء اللاهوت المسيحي لعدم وفاء التوبة أو العفو أو الأعمال الصالحة لتكفير الخطيئة الموروثة، لأن هذا لا يتلاءم مع عدالة الله الغير محدودة والتي أهينت بزعمهم فهم يستخدمون قياس الغائب على الشاهد، فيقيسون عدالة الله بالقضاء العادل، فهل يقبل القضاء العادل من مجرم قاتل عمدا، ومحكوم عليه بالموت حسب القانون؛ أن يتبرع بكل أمواله للفقراء والمساكين؟ أو أن يقدم استعطافا بالنوح والبكاء؟ أو أن يقدم عملا خيريا ليكفر عن جرمه؟ أو يأتي بشفاعة بعض القديسين والصالحين له؟ فهل تعتبر هذه الأسباب أمام نزاهة العدالة المطلقة، أسبابا كافية لتبرئة الإنسان المذكور، أو حيثيات قانونية لإلغاء حكم الإعدام الصادر ضده؟

---

1 ـ الصليب وقصده الكوني : فليب معزوز صـ٤١، وانظر كفارة المسيح : عوض سمعان، صـ٥٠.

2 ـ we Goldsack : the Atonement.P.5.، نقلا عن العقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهي :أد عبد العزيز سيف النصر، صـ ٨٧، وانظر الغفران بين الإسلام والمسيحية: إبراهيم خليل، صـ١١١.

والجواب عن الأسئلة السابقة بالنفي بلا، لأن التصرفات المذكورة لا يمكن أن تعيد للدولة كرامتها، أو أن تعيد الحياة للمقتول، ولذلك لا يمكن تبرئة هذا القاتل، أو تخفيف الحكم عليه، لأن القضاء العادل، يرفض العمل الصالح مقابل رفع الحكم عن القاتل.

هكذا بالأولى نقول بأن الله الكامل في عدله لا يقبل أي تعويض عن الخطايا التي ارتكبتاها، ذلك لأن الخاطئ لم يفسد فقط نفسه، بل تعدى على شريعته تعالى بعصيانه، "وبما أن صلواته مهما طالت، وصيامه مهما كثر، وصدقاته مهما عظمت، وتوبته مهما صدقت، وشفاعة القديسين والصالحين له إن كان لهم شفاعة، لا تستطيع أن تفي عدالة الله وقداسته، لأن هذه الأعمال لا تستطيع أن تعيد إلى الخاطئ حياة الاستقامة التي كانت لآدم قبل السقوط، ولا تستطيع أن تعيد لعدالة الله كرامتها"[1].

ويستدلون على هذا من الكتاب المقدس "من يحول أذنه عن سماع الشريعة فصلاته مكرهة " أمثال٢٨: ٩، وقال الإله للخطاة: "آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" إشعياء ٥٩ : ٢ ، وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة، وآثامنا كريح تحملنا" أشعياء ٦٤:٦.، وفي العهد الجديد "لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته" تيطس ٣:٥.

ومما سبق يتضح لنا أنه لا التوبة ولا العفو ولا أي عمل صالح، يكفر عن الخطيئة الموروثة، لأن كل هذا لا يعيد للعدالة الإلهية كرامتها التي اعتدي عليها بالخطيئة الأصلية والخطايا الموروثة، ولا يوجد حل

---

1 - راجع كفارة المسيح : عوض سمعان، صـ٥٠، وانظر الصليب وقصده الكوني : فليب معزوز صـ٤١.

للتوفيق بين عدل الله ورحمته في اللاهوت المسيحي، إلا بإراقة دماء الإله بنفسه، وفي هذا كل الرحمة للإنسان، وكل العدل لله كما يزعمون.

مناقشة اللاهوت المسيحي في عقيدة العدالة الإلهية وموقف الإسلام منها

اعتقاد اللاهوت المسيحي في أن العدالة الإلهية تقتضي عقوبة مقابل الخطيئة الأصلية والخطايا الموروثة، لكن هذا يناقض رحمته تعالى، اعتقاد باطل، وهو يظهر جهلا فاضحا بالله تعالى وصفاته، إذ كيف يهتدي عقل أودين إلى القول بتناقض العدل الإلهي مع الرحمة الإلهية قرونا طويلة من غير أن يهتدي الإله إلى سبيل للتوفيق بين صفاته المتناقضة، وهذا الاعتقاد يلزم منه محالات منها:

١ــ وصف الله عز وجل بالعجز عن العفو عن ذنب آدم ــ عليه السلام ــ تعالى الله عن ذلك.

٢ــ يلزم منه أنه تعالى ظل حائرا في الطريقة التي ينبغي أن يعاقب بها آدم، بعد أن قرر عقوبته.

٣ــ يلزم منه: أن البحث عن مخرج للتوفيق بين عدل الله ورحمته، جعله تعالى يتسرع في العقوبة، إذ أنه ظل قرونا عديدة إلى أن اهتدى إلى هذا المخرج الذي

قرر فيه أن يُذبح ابنه على الصليب، وأن يعذب كفارة عن ذنب لم يرتكبه[1].

---

1 ـ راجع الميزان في مقارنة الأديان: المستشار محمد عزت الطهطاوي، صـ ١٥٥ ، ومابعدها، ط، دار القلم، دمشق، ط: الثانية، ٢٠٠٢ م، وهل افتدانا المسيح على الصليب، د منقذ محمود السقار صـ ١٨١، وانظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا، جـ ٦/ صـ ٢٢، ومابعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠م.

٤ــ يلزم منه: نسبة البداء والجهل على الله وهما محالان ، إذ مؤداهما أن الله عز وجل لم يدرك كيفية الجمع بين مقتضى العدل والرحمة إلا حين صلب المسيح

وقبل ذلك كان جاهلا، ثم بدا له الحل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وإصرار علماء اللاهوت المسيحي على توقيع عقوبة حتى لا يعتدى على عدالته ــ تعالى ــ يتناقض مع مقتضيات العقل الإنساني، إذ أن الهدف المقصود من العقاب في الدنيا هو صد وكبح الشر، وإصلاح المخطئ، أما أن يعاقب المسيح من أجل خطيئة آدم ــ عليه السلام ــ التي لم تتجاوز شخصه، حتى بعد أن تاب وأصلح من نفسه، فإن هذا هو علامة الانتقام والتشفي، وليس من العدالة في شيء، وأن الإله الذي تقتضي عدالته عقابا للإنسان على كل خطيئة يرتكبها صغيرة كانت أو كبيرة، حتى بعد توبته وندمه على ما فعله، هذا الإله ليس أفضل من "شيلوك"[1] الذي صمم على قطع رطل لحم من قلب رجل أخذ دينا عن غيره، وصمم "شيلوك"على ذلك وفاءا للعقد، حتى بعد أن عرض عليه سداد الدين[2] .

وقول عوض سمعان السابق: "إنه أيسر لنا أن نؤمن بإله يحب خليقته ويبذل كل ما لديه في سبيل إسعادها، من أن نؤمن بإله غير كامل الصفات، أو ينحاز إلى صفة دون الأخرى" قول باطل لا يقبله من كان عنده مسكة من العقل، إذ كيف يقبل عقل أن يموت ابن الإله و يعذب على الصليب، من غير أن يرتكب أي ذنب، وأن هذا في زعمه أيسر لنا

---

1 ـ شيلوك مرابي يهودي جشع ذكره شكسبير في إحدى رواياته، الغفران بين الإسلام والمسيحية: إبراهيم خليل، صـ١١١ في الحاشية.

2 ـ راجع العقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهي :أد عبد العزيز سيف النصر، صـ ٨٧، وانظر الغفران بين الإسلام والمسيحية: إبراهيم خليل، صـ١١١.

من أن تنقص صفة من صفاته، أو أن يتحيز لصفة دون الأخرى، إن هذا الكلام متهافت وبديهي البطلان، إذ أنه من الصعوبة أن يقبل عقل مستقيم أن يُفعل هذا بشخص عادي من أفراد الإنسان، فضلا عن ابن الله، فكيف قبل عقل هذا الباحث أن يكون هذا أيسر في حق الإله؟

أما عن قياس علماء اللاهوت المسيحي العدالة الإلهية بالقاضي العادل فهو قياس فاسد؛ إذ أن العدالة في الغائب غير العدالة في الشاهد، وهذا القياس يتنافي مع اسم الله العدل، المشتق منه صفة العدالة، لأن الله تعالى كما أنه عدل، فهو أيضا مريد، له إرادة واختيار، يقول فخر الدين الرازي: "وحقيقة العدل كونه سبحانه منزها عن النقائص الحاصلة في طرفي الإفراط والتفريط، وجانبي التشبيه والتعطيل، ومعنى أنه تعالى عدل في أفعاله أنه لا يظلم ولا يجور.... والعدل هو الذي يفعل ما يريد، وحكمه ماض في العبيد، [1].

وتقرير اللاهوت المسيحي للعدالة الإلهية وقياسهم لها بعدالة القاضي على نحو ما قررته في هذا البحث، يتنافي مع المفهوم السابق للعدل، ويتنافى مع إرادته تعالى، فيجعله مجبرا مقهورا في أفعاله، إذ أنه لا يستطيع أن يعفو عن صغائر الذنوب، تعالى الله عن ذلك علو كبيرا.

وقولهم حتى لا تتناقض عدالته مع رحمته، أو رحمته مع عدالته، يلزم منه أن تتناقض عدالته مع إرادته، بل إن عدالته بهذا المعنى تنفي إرادته وتعطلها.

ثم يقال لهم من هذا الذي قيد إرادة الله – سبحانه وتعالى – وعطلها وقهره وجعله يلتزم العدل و يلتزم الرحمة، وأن يبحث عن طريق

---

1 ـ شرح أسماء الله الحسنى المسمى لوامع البينات: فخر الدين الرازي، صـ٢٣٨ وما بعدها، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣١ هـ ٢٠١١ م.

للتوفيق بينهما، بأن ينزل ابنه الوحيد، في صورة ناسوت، يصلب فـداءً عن خطيئة آدم؟

كما أن قولهم إن العدالة تقتضي عقابا، بصلب المسيح، يُلحق به تعالى الظلم والجور في الأفعال، لأنه يترك الخاطئ، ويعاقب البريء، وهذا الاعتقاد يؤدي

إلى نقص صفة العدالة الإلهية لا كمالها كما يدعون.

وقياسهم عدالة القاضي العادل بعدالة الله قياس باطل ومنقوض وذلك لأن القاضي مخلوق ناقص، لا يشبه الخالق الكامل، وهو محكوم بالقوانين الإلهية، أوالوضعية المستمدة منها أو من غيرها، وفوقه من يحكمه، ويحاسبه في الدنيا، وسيحاسبه الله عز وجل في الآخرة، وبالتالي لا يستطيع العفو عن الخاطئ، وإذا فعل هذا لهوى في نفسه كان جائراً، وتحوم حوله الشبهات، فلا يكون عادلا، والفرض أنه عادل.

ثم أن القوانين الإلهية المنزلة للإنسان والتي يحكم بها القاضي العادل تختلف باختلاف الشرائع السماوية، قال تعالى:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} المائدة:٤٨، إذ أن كل أمة لها ظروفها الاجتماعية، والمولى عز وجل يُشرع للإنسان القوانين التي تناسب زمنه، وما فيه صلاحه في العاجل والآجل، ومن أجل هذا تعددت الرسالات السماوية، هذا فضلا على أن القوانين الوضعية المنتشرة في العالم اليوم الحق فيها أمر نسبي، فمثلا الزنا نراه في البلاد الإسلامية محرما ومجرما، ومن ثم يستوجب العقوبة، بينما في بعض البلاد الأوربية يرونه مباحا، ومن ثم لا عقوبة عليه، وإذاً فالعدالة في الشاهد تختلف باختلاف الزمان والمكان، ومن ثم لا يصح قياسها بعدالة الله الخالق الكامل في صفاته المنزه عن الزمان والمكان الذي يغير ولا يتغير.

أما عدالة الله تعالى فتفعل ما تشاء، وهي غير محكومة بقوانين، وليس فوقه من يحكمه أو يحاسبه، لأنه مشرع القوانين، وهو عز وجل منزه عن الهوى والشبهة، وعن أن يلحقه نفع أو ضرر، لأنه تعالى مالك الملك وخالقه، فله أن يفعل فيه ما يشاء، ومشيئته هي حسب علمه وحكمته، قال تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } آل عمران: ١٢٩.

وإذاً فالعدالة بالنسبة لله الخالق غير عدالة القاضي المخلوق المربوب، وإرادته تعالى غير إرادة القاضي، وهكذا كل الصفات الإلهية تختلف في كمالها في الغائب عن الشاهد، وبالجملة فالقياس كله فاسد، إذ أنه يؤدي إلى تشبيه المخلوق بالخالق في كمال الصفة، وقد أخبر سبحانه أنه{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى:١١.

كما أن الله عز وجل ليس مجرد قاض يحكم في قضية، أو ملك يحكم دولة، إنه {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} الفاتحة: ٤، وهو ليس عدلا فقط، لكنه غفور رحيم، قال تعالى: {عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} الأعراف:١٥٦.

واعتقاد اللاهوت المسيحي بعدم وفاء التوبة أو العفو أو الأعمال الصالحة لتكفير الخطيئة الموروثة، اعتقاد باطل، ومردود عليه ليس بالقرآن الكريم فقط، بل بنصوص كتابهم المقدس، فهاهو المسيح يجلس مع العشاريين والخطاة فيتذمر الفريسيون والكتبة لذلك "قائلين هذا يقبل خطاة ويأكل معهم" لوقا:١٥:٢.

وبين لهم المسيح ــ عليه السلام ــ حرصه على التوبة، وفرحة الله أمام الملائكة بالتائب العائد إليه" فكلمهم بهذا المثل قائلا أي إنسان

منكم له مئة خروف، وأضاع واحدا منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية، ويذهب لأجل الضال حتى يجده، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحا، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم افرحوا لأني وجدت خروفي الضال.

أقول لكم إنه هكذا يكون فرحا في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة.... هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب" لوقا ١٥: ٣ ــ ١٠.

ومن النص السابق يتضح أن المسيح بين لهم أن الله يفرح بعبده التائب، كفرح الأب بعودة ابنه الضال، ومعنى هذا أن التوبة مقبولة عند الله كوسيلة للخلاص من الذنب، فلم لا يقول المسيحيون بقبول توبة آدم عليه السلام كحل للتوفيق بين عدالة الله ورحمته، بدلا من سفك الدماء؟

وفضلا عن النص السابق وردت نصوص آخري فيها وعد من الله للتائبين بقبول توبتهم، منها :

"فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقا وعدلا، فحيوة يحيا لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره" حزقيال ١٨: ٢١ــ ٢٢.

وجاء في يعقوب " وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تغفر له،... أيها الأخوة إن ضل أحد بينكم عن الحق فرده أحد، فليعلم أن من رد خاطئا عن ضلال طريقه، يخلص نفسا من الموت" ٥ :١٦ ــ ١٩.

ومثل الصلاة الصدقة على الفقراء والمساكين " الصدقة تنجي من الموت، وهي تطهر كل خطيئة، الذين يتصدقون يشبعون من الحياة" طوبيا: ١٢: ٩ .

وإذن فالتوبة وأعمال البر كالصلاة والصدقة في الكتاب المقدس تكون سببا لمغفرة الذنوب وتكفير الخطايا، ولا مبرر للفداء المزعوم.

وهذا ما أكده القرآن الكريم فقد دعا الله عز وجل عباده المرتكبين للخطايا والذنوب للتوبة في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا } النساء: ١١٠، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} الشورى: ٢٥، وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ } الزمر: ٥٣، ٥٤.

والأعمال الصالحة في الإسلام تكون سببا في الغفران وتكفير الخطايا، قال تعالى: {وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} الرعد:٢٢،٢٣، وعن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"(١).

---

1 ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم: كِتَابُ الإِيمَان، رقم الحديث ١٧٨،جـ١/ صـ١٢١، والمعجم الكبير للطبراني: المَرَاسِيلُ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رقم الحديث، ٣٧٤، جـ٢٠/صـ ١٧٥،مكتبة ابن تيمية، ط، الثانية.

وتعاليم الإسلام تجعل الأعمال الصالحة كالقنوت والصدق والصبر والصدقة والصوم سببا للغفران وتكفير الخطايا، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} الأحزاب: ٣٥.

وقول عوض سمعان السابق: أن التوبة والأعمال الصالحة لا تكفر الخطيئة، لأن هذا "لايتلائم مع عدالة الله الغير محدودة والتي أهينت بزعمهم"هذا القول باطل ومردود عليه، لأن الله عز وجل منزه عن أن تهان عدالته بمعاصي الأولين والآخرين، فهو سبحانه لا تضره معصية، كما أنه لا تنفعه طاعة، فإذا فرض الله عز وجل على العبد أمرا وفرض طاعته، فإن هذا يرجع بالفائدة على النوع الإنساني وليس على الله عز وجل، وإذا أوقع عقابا على إنسان فليس هذا من أجل مرضاته وتعويضه عز وجل عن عدالته التي أهينت كما يزعمون، وإنما ليصد الشر ويحد منه، ويطهر الخاطئ، روى مسلم بسنده "عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ

كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا[1].

ومما سبق يظهر لنا أن الله عز وجل لا تضره معصية، حتى ولو كان كل أفراد الإنسان فجارا، ولا تنفعه طاعة حتى ولو كانوا جميعا أتقياء، وإنما النفع والضرر عائد على النوع الإنساني، وبالتالي لا يوجد إهانة لعدالته ــ تعالى ــ بالخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام.

ولو سلمنا لهم هذا للزم المحال، وهو أن تهان عدالته الآن في كل يوم ملايين المرات، نظرا لتعدد الخطايا في العالم من القتل والظلم والكذب والخيانة ..الخ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ثم هناك طريق آخر للتوفيق بين عدل الله ورحمته غير إراقة الدماء ، وهو العفو، ومن أسمائه تعالى العفو، وهو بمعنى المحو والإزالة، والعفو أبلغ من المغفرة، لأن الغفران يشعر بالستر، والعفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر، والعفو هو الفضل، والعفو في حق الله تعالى عبارة عن إزالة آثار الذنوب بالكلية، فيمحوها المولى عز وجل، ولا يطالب العبد بها يوم القيامة، بل يثبت مكان كل سيئة حسنة[2] قال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} الفرقان: ٧٠.

وقد عفا الله عن بني إسرائيل من قبل المسيح من غير كفارة، ولا سفك دماء ولم تهنْ كرامة عدالته "رضيت يارب على أرضك، أرجعت سبي يعقوب، غفرت إثم شعبك، سترت كل خطيئتهم، سلاه، حجزت كل رجزك، رجعت عن حمو غضبك، أرجعنا يا إله خلاصنا" المزمور٨٥:

---

1 ـ صحيح مسلم: كتاب البرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَاب، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ، رقم الحديث: ٢٥٧٧، جـ٤/صـ ١٩٩٤.

2 ـ شرح أسماء الله الحسنى المسمى لوامع البينات: فخر الدين الرازي، صـ٣٢٥ ومابعدها.

١ ــ٤، ويقول بولس: "طوبى للذين غفرت آثامهم، وسترت خطاياهم، طوبى للرجل الذي لا يحسب له
الرب خطية" رومية ٤: ٧ ــ ٨.

ومما سبق من نصوص الكتاب المقدس يتبين لنا أن الله عز وجل عفا عن ذنوب وخطايا لأناس وسترها عليهم، ولم يتعارض هذا مع عدالته ورحمته، ولم يحتج للعفو عنهم لسفك دماء كما يقرر اللاهوت المسيحي.

والعفو من خلق المسيح عليه السلام وقد ربى تلاميذه على صفة العفو، وسأل بطرس المسيح " وقال يارب كم مرة يخطئ إلى أخي واغفر له، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة" متى ١٨ : ٢١ ــ ٢٢ .

وجاء في لوقا منسوبا إلى المسيح " واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا" لوقا ١١: ٤، "فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم.....اغفروا يغفر لكم" لوقا ٦: ٣٧.

مما سبق يتضح أن المسيح كان من خلقه العفو، بل كان يدعو أتباعه إلى التحلي بهذا الخلق، فلم لا يقول علماء اللاهوت المسيحي بعفو الله عن خطيئة آدم ــ عليه السلام ــ بدلا من هذا الفداء؟

إن العفو عن الخاطئ بعد إيقاع العذاب عليه، أو على شخص آخر نيابة عنه كما يقرر اللاهوت المسيحي، ليس عفوا على الإطلاق، ولقد بينت آيات القرآن الكريم، أن الله يعفو عن هؤلاء الذين تحولوا عن خطاياهم، وأصلحوا أنفسهم دون أن يعاقبهم، أو يعاقب شخصا آخر نيابة عنهم، وهذا لا ينتقص شيئا من العدالة الإلهية، فالعدالة الإلهية بعقوبة أي شخص تكون حيث يصمم هذا الشخص على الكفر والشرك، وهذا لا يكون في الدنيا، بل في الآخرة، وهذا الفرد هو الذي توعده الله تعالى

بالعقاب الأبدي[1]، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء: ١١٦.

والعفو عن الوعيد لا يعد خلفا بالنسبة لله تعالى، ولا يتعارض مع عدالته ولا ينتقص منها شيئا، بخلاف الوعد، فالخلف فيه لؤم ينزه الله عنه، أما الخلف في الوعيد فيعد كرما وفضلا، ومن أجل هذا كان جائزا في حق الله تعالى، وهو على تقدير مشيئته كما هو عادة الكريم، فإنه إذا قال إذا فعل عبدي كذا أعاقبه، كان المراد أعاقبه إن شئت، فلا يكون حتما تعذيب بعض العصاة، يقول الباقلاني: "وَقد اتّفق الْمُسلمُونَ وَغَيرهم أَيْضا على حسن الْعَفو والصفح عَن عُقُوبَة الذَّنب، وعَلى مدح من لَا يتم مَا يتوعد بِهِ وتعظيمه ومدحه بِالْعَفو عَن فعله،..... وَكَيف لَايحسن من الله الْعَفو عَن الذَّنب، وَقد أمرنَا بِهِ، وحضنا عَلَيْهِ، ومدح من هُوَ من شَأْنه، وَقد أجمع الْكل على أَن مَا أَمر بِهِ، وحض عَلَيْهِ، ومدح فَاعله فَلَيْسَ بقبيح قَالَ تَعَالَى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} آل عمران: ١٣٤، يَعْنِي الواهبين لما استحقوه بِمَا جني عَلَيْهِم[2] وَقَالَ تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} البقرة: ٢٣٧.

ومما تقدم يتضح لنا أن الله عز وجل {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} غافر: ٣، ومن أسمائه تعالى العفو، وقبول التوبة والعفو عن المذنبين لا يتناقض مطلقا مع عدل الله ورحمته، ومع كل ما سبق زعم علماء اللاهوت المسيحي، أنه لابد من الفداء للتوفيق بين صفتي العدل

---

1 ـ العقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهي :أد عبد العزيز سيف النصر، صـ ٨٩ .

2 ـ راجع تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: صـ: ٤٠٠، ومابعدها، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان،ط: الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

والرحمة، وللتكفير عن كل الخطايا الموروثة، وإذن فلابد في الفداء من سفك دم، وهذا ما سنتناوله فيما يلي.

المسألة الرابعة
الفداء (الكفارة بالدم) في اللاهوت المسيحي

الكفارة بالدم في اللاهوت المسيحي: بمعنى أنه من أجل رفع التناقض بين عدل الله ورحمته، لابد من العقوبة حتى تتحقق المغفرة، لأن "الحق المطلق والفريد في قداسته، لا يستطيع أن يخرق قوانينه، لأن القانون الذي يمكن خرقه دون عقوبة كافية ليس قانونا على الإطلاق"[1] يقول بولس: "وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة عبرانيين: ٩: ٢٢، ويقول: "أجرة الخطية هي موت" رومية ٦ :٢٣، ويقول: "أنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله" كورنثوس ٦ : ٢٠.

ولكي تحصل المغفرة لابد من الفداء بدم، وهذا الفداء يكون بشخص يحمل الخطايا الموروثة حتى يتطهر الجميع من الإثم، وهذا الشخص له مواصفات وشروط في اللاهوت المسيحي يمكن إجمالها في الآتي:

١ــ يجب أن تكون الفدية تساوي الشيء المطلوب فداءه، وبالتالي يجب أن يكون الفادي إنسانا، لأن الذي أخطأ في حق الله كان إنسانا.

٢ ــ يجب أن يكون غير محدود، لأن خطيئة الإنسان غير محدودة، لأنها موجهة لله غير المحدود.

---

1 - راجع العدالة الإلهية: هاني مينا ميخائيل، صـ ٣٣٩ ومابعدها، تجهيزات جي سي سنتر، ميدان سفير، ط: الثالثة، ٢٠١٠م، و الصليب وقصده الكوني : فليب معزوز صـ٨٨.

٣ ــ يجب أن تكون قيمة الفادي معادلة لكل بلايين البشر، على مر العصور والأزمان، ومن نفس جنسهم حتى يكون نائبا عنهم.

٤ ــ يجب أن يكون الفادي قدوسا بلا خطيئة، لأنه إذا كان خاطئا فهو لا يستطيع أن يفدي غيره، فكأنه أعمى يقود أعمى فيسقطان كلاهما في حفرة، ولأنه لو كان ملوثا بالخطيئة مثلنا، لكان واقعا تحت قصاص الله نظيرنا، ولا يستطيع أن ينقذ واحدا منا من هذا المصير المرعب، لأنه يكون هو نفسه محتاجا إلى من ينقذه.

٥ ــ يجب أن يكون معصوما تماما من الخطيئة، وليس مثل آدم رغم أنه خلق

خاليا من الخطيئة غير أنه لم يكن معصوما منها، لأنه عندما عاش على الأرض سقط فيها، لذلك لا يكفي أن يكون الفادي خاليا من الخطيئة، بل يجب أن يكون معصوما منها.

٦ ــ يجب أن يكون غير مخلوق، لكي يكون من حقه أن يقدم نفسه كفارة، لأنه لو كان مخلوقا لكان بجملته ملكا لله، فلا يحق له تقديم نفسه التي لا يمتلكها فدية لله عن البشر.

٧ ــ يجب أن يقبل الموت بإرادته المطلقة.

٨ــ يجب أن يكون حيا إلى الأبد ليشفع بدمه في الخطاة في كل حين[1]..

---

1 ـ راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ٩٤ ومابعدها، وانظر الصليب وقصده الكوني: قليب معزوز صـ٨١، ايماننا المسيحي صادق وأكيد ، للقس بيشوي حلمي ،صـ ٦٤ ومابعدها.

وبما أنه لا يمكن الحصول على الغفران إلا إذا تم إيفاء مطالب عدالته تعالى التي لا حد لها، إذ فالفادي يجب أن يكون أيضا ذا مكانة، لا حد لسموها حتى يستطيع تحمل كل قصاص الخطيئة عوضا عنا[1].

وفي ضوء الشروط السابقة للفادي يقرر اللاهوت المسيحي أنه لا يصلح أن يكون الفداء بحيوان، أو ملك من الملائكة، لأن الملائكة ليس لهم دم، ولا يصلح أن يكون دم إنسان، لأن آدم وذريته ملوثون بالخطيئة فلا يصلح واحد منهم للفداء، يقول حبيب جرجس: "وهذا الفادي ليس إنساناً ولا ملاكاً ولا خليقة أخرى، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي له المجد[2]، إذا لابد أن يكون الدم إلهياً طاهرا غير ملوث بالخطيئة، و في الوقت نفسه يمثل البشرية، فهو دم طاهر، ولا طاهر إلا الله.

لكن هل الإله له دم؟ وكيف يكون الدم إلهيا؟ ويمثل البشرية في نفس الوقت؟ المشكلة تحل بنظرية التجسد، يرسل الله ابنه ليحل في جسد العذراء مريم، ويظل في بطنها وفي أحشائها تسعة أشهر، ثم يولد بالجسد إنسانا ذا دم ولحم، ولكنه الله نفسه[3] يقول بولس: "ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة، ومولودا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" غلاطية ٤ : ٤.

وإذن فالشروط السابقة لا تتوفر إلا في شخص المسيح الإله الذي تجسد وتأنس من أجل هذه المهمة العظيمة، فهو الذي يتميز عن

---

1 ـ كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ٩٥.

2 ـ خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: حبيب جرجس، جـ ٢٦/٣ ، طبع دار الهلال مصر، ط: التاسعة، ١٩٢٦ م.

3 ـ راجع يسوع المسيح: بولس إلياس صـ ٩٤، نقلا عن المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان، صـ ١١٣

ساتر البشر بأنه ولد طاهراً من الخطيئة، فهو لم يفعلها طوال حياته، وهو وحده الذي يمكن أن يصير فادياً، وأن يُقبل به الفداء، يقول عوض سمعان: " ليس من يتصف بهذه الصفات أو يستطيع القيام بهذه الأعمال سوى الله"[1]، وفي موضع آخر" فهو لم يرث الخطيئة في طبيعته الإنسانية، لأنه ولد بدون الأب المورث لها، إذ كانت ولادته من العذراء بقوة الروح القدس"[2] ويقول القس بيشوي حلمي: "إذن الحل الوحيد هو أن يأخذ الله جسدا إنسانيا، ويقبل في هذا الجسد حكم الموت بدلا من الإنسان، وفي هذا كل الرحمة، وكل العدل، كل الرحمة للإنسان، وكل العدل لله.... من أجل ألا يفنى الإنسان ويموت ويبقى في الفساد إلى الأبد، دبر الله أمر خلاصه وفدائه، بأن يرسل ابنه الوحيد في ملء الزمان، ليتجسد ويموت بدلا من الإنسان الساقط، وبذلك يفديه من حكم الموت الأبدي المحكوم به عليه"[3].

ويستدل علماء اللاهوت المسيحي على هذا بما ورد في الكتاب المقدس" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" يوحنا ٣: ١٦ــ ١٧.

"لأن ابن الإنسان قد جاء، لكي يطلب ويخلص ما قد هلك" لوقا ١٩ :١٠

"عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بِلاَ عيْب، ولا دنس دم المسيح" رسالة بطرس الأولى ١ : ١٨ ــ ١٩.

---

1 ـ كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ٩٥.

2 ـ المرجع السابق صـ ١١٣.

3 ـ راجع ايماننا المسيحي صادق وأكيد: للقس بيشوي حلمي ،صـ ٦٦.

"الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" رومية، ٨ : ٣٢.

ويعتقد علماء اللاهوت المسيحي أن فداء المسيح للبشرية: هو العمل الحقيقي الذي من أجله تجسد وتأنس، فالمسيح في زعمهم هو الله غير المنظور، وقد صار منظوراً بتجسده وولادته من مريم العذراء، لينجز مهمة الفداء والخلاص، التي ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها، لأنه كان من المستحيل أن يترك الله الإنسان للفساد، لأن هذا لا يليق به، فالله قد تجسد في المسيح من أجل الفداء والخلاص، فالفداء كان هو الغاية، والتجسد كان هو الوسيلة"[1].

ويقول القس بيشوي حلمي: "لم يكن تجسد ابن الله هدفا في ذاته، بل كان وسيلة لتحقيق أهداف عظمى، وهي فداء الإنسان إذ بذل أقنوم الابن جسده فداءً عن الإنسان الساقط"[2] وقال القديس كيرلس الكبير(ت: ٤٤٤م) "لقد كان تجسد الكلمة وتأنسه أمر لابد منه لخلاص الذين على الأرض، فلو لم يكن قد ولد مثلنا بحسب الجسد لما كان قد اشترك في الذي لنا، وبالتالي لما حرر طبيعة الإنسان من الوصمة التي أصابتها في آدم، وما كان قد طرد الفساد من أجسادنا"[3].

ويستدل المسيحيون على أن الهدف والغاية من مجئ المسيح هو فداء البشرية بأقوال المسيح نفسه فقال عن نفسه: " أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" يوحنا١٠: ١١، ويفسر هذا النص عوض سمعان بقوله: "يقصد بالخراف المؤمنين

---

1 - راجع العدالة الإلهية: هاني مينا ميخائيل، صـ ٢٨٩ ، وموت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء، د.جورج حبيب بابوي، صـ٢٤٠ ومابعدها.

2 - إيماننا المسيحي صادق وأكيد ، للقس بيشوي حلمي ،صـ ٦٤ ومابعدها.

3 - المرجع السابق : صـ ٨٩.

الحقيقيين، أوجه الشبه بينهما أن الخراف تكره القذارة وتطيع راعيها، والمؤمنون الحقيقيون يكرهون الشر ويطيعون الله"[1].

وقال المسيح أيضا " إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " مرقس١٠ : ٤٥ .

" لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك" متى: ١١:١٨.

ويرى المسيحيون أن الفداء بموت المسيح وصلبه يعد فوزا ونصرا عظيما بالنسبة لله يقول عوض سمعان: " إن الله تمجد بالكفارة أكثر مما لو كان قد طرح جميع البشر في جهنم إلى الأبد بسبب عجزهم عن إيفاء مطالب عدالته وقداسته، وللإيضاح نفرض مثلا أن رجلا ثريا نهبت ثروته، وبالقبض على اللصوص وجد أنهم بددوا هذه الثروة عن آخرها، فإن كل ما يمكن عمله في هذه الحالة هو معاقبتهم، لكن الثروة لا يمكن استردادها .

أما الله فقد استطاع بالكفارة أن يستردنا نحن الذين ضللنا، وأن يمنحنا فقط حياة الاستقامة التي كانت لآدم قبل السقوط في الخطيئة ..... ومن ثم نقول إن الله أحرز بالكفارة فوزا عظيما، ونصرا مبينا"[2].

ويقرر اللاهوت المسيحي أن الإيمان بفداء المسيح لآدم وذريته من الخطيئة هو لب الإيمان وأساسه الظاهري والباطني، ولا يستطيع أحد أن يخلص نفسه إلا إذا آمن بالمسيح عليه السلام، وقبله كمخلص له من جميع ذنوبه، وكل إنسان مقدر عليه أن يخلد في نار جهنم إذا لم يقبل ويؤمن بالفداء الذي بذله المسيح من أجل خطايانا الإنسانية عن طريق سفك دمه، ويبين عوض سمعان الإيمان في المسيحية بالآتي:

---

1 - راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٣٢.

2 - المرجع السابق صـ ١٧٧ .

١ ــ هو عودة الإنسان إلى حالة الطفولة، ثم تصديقه وهو في هذه الحالة بما قام به المسيح من خلاص، وما يعطيه من بركات، وذلك مثل تصديق الأطفال الذي لا يشوبه شك أو ريب، ولذلك قال المسيح: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات: متى ١٨: ٣ .

٢ــ قبول المسيح في النفس، وقبوله لا يراد به فقط عقيدة الخلاص الذي عمله المسيح على الصليب، بل وقبول نفسه بحالة روحية في أعماق النفس.

٣ــ الاعتماد على المسيح فقد قال النبي:"يا مخلص جميع المتكلين عليك" مزمور ٣٤: ٢٢، وكل من اتكل على المسيح لا يعاقب.

٤ــ أن الإيمان الحقيقي ليس مجرد الاعتراف بالمسيح أو تصديق رسالته، لأنه إن وقف إيمان إنسان عند هذا الحد، يكون إيمانه عقليا، والإيمان العقلي وإن كان ينشئ في النفس اقتناعا بحقيقة الخلاص، لكنه لا يهيئ لها سبيل الاستفادة منه، وبالتالي لا يستفيد من الخلاص على الإطلاق أصحاب الإيمان العقلي.

كما أن القيام بالصلاة والصوم والصدقة والعمل الصالح ليس دليلا على وجود الإيمان الحقيقي، وإنما الإيمان الحقيقي يتلخص في التصديق الباطني والروحي، باستجابة العقل الباطن للإعلان الإلهي أن الخلاص قد تم بواسطة المسيح، وأنه هو الفادي والمخلص لنا من الخطيئة[1].

---

1 - راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٨٠، ومابعدها.، وانظر العدالة الإلهية: هاني مينا ميخائيل صـ ٢٤٥ ومابعدها.

مما سبق يتضح أن الاعتقاد بأن الخلاص من الخطيئة تم بواسطة فداء المسيح هو أساس الإيمان في اللاهوت المسيحي، وأن الأعمال الصالحة من الصلاة والصيام والصدقة لا قيمة لها بدون الإيمان بالفداء المزعوم.

وبالفداء لا حاجة إلى الشريعة، وهذا ما أكده كتاب الأناجيل، يقول الأب متى المسكين: "فبموته ــ المسيح ــ ألغي الناموس، وبإلغاء الناموس ألغيت الخطية، وبإلغاء الخطية ألغي الموت، وبإلغاء الموت ألغيت الهاوية...فلم يعد بعد موته خطية"[1].

أما الذين يتمسكون ويعملون بالناموس من أجل النجاة من خلال التزامهم بالأوامر والنواهي، فيرى بولس أنهم يسيئون للمسيح المخلص إذ يقول: " تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس" غلاطية ٥: ٤، ونص آخر " إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذا مات بلا سبب" غلاطية ٢: ٢١، "أبناموس الأعمال كلا، بل بناموس الإيمان، إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان، بدون أعمال الناموس" رومية ٣: ٢٧ ــ ٢٨.

أما رافضوالفداء الذين لم يقبلوا عمل الصليب، ولم تكتب أسماؤهم في سفر حياة الخروف المذبوح (المسيح) فنصيبهم في بحيرة النار والكبريت، حتى وإن التزموا بالشريعة[2].

---

1 ـ الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) : الأب متى المسكين، صـ٧٧٦، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط: الأولى،١٩٩١م.

2 ـ الصليب وقصده الكوني: فليب معزوز صـ١٧٧.

نتائج الفداء والكفارة بالمسيح فى اللاهوت المسيحى

نتج عن فداء المسيح لخطايا الإنسان بركات خارجية، وأخرى باطنية، يمكن تلخيصها في الآتي:

أولا: البركات الخارجية وهي:

(أ) الغفران: وهو مغفرة الذنوب والخطايا، وله أمثلة متعددة في الكتاب المقدس منها على سبيل المثال: كان داود النبي يرنم قبل مجئ المسيح بألف سنة قائلا: "طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيته" مزمور٣٢: ١، وكان إرميا النبي يتساءل قبل مجئ المسيح بستمائة سنة: كيف يصفح الله عن الخطاة؟ إرميا ٥: ٧، ولكن الطوبى التي كان يترنم بها داود ويريد الحصول عليها لم تتحقق إلا بكفارة المسيح، وسؤال إرميا لم تعلن الإجابة عنه إلا بكفارة المسيح، وكل من يؤمن بالمسيح ينال باسمه غفران الخطايا[1]، و قال للذين آمنوا إيمانا حقيقيا "قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" يوحنا ٢: ١٢.

(ب) التبرير: هو نعمة الله المجانية :وهو لا يراد به خلاص المؤمنين الحقيقيين من وصمة الخطايا فقط مثل الغفران، بل يراد به أيضا صيرورتهم أبرارا أمام الله، وكأنهم لم يرتكبوا خطيئة على الإطلاق، وذلك لأنه كما أن المسيح بنيابته عنا حسبت عليه خطايانا، كذلك بحسب هذه النيابة عينها، يحسب لنا بره الذي يفوق كل بر، والدليل على هذا أن أيوب الصديق وداود النبي كان يبحثان قديما عن هذا التبرير، فلم يجدا إليه سبيلا، فتساءل الأول" كيف يتبرر الإنسان عند الله؟" أيوب ٢٥: ٤، وخاطب الثاني المولى قائلا[2]: "فإنه لن يتبرر قدامك حي" مزمور

---

1 ـ كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٦٤.

2 ـ المرجع السابق صـ ١٦٥، والصليب وقصده الكوني: فليب معزوز صـ١١٢ ومابعدها، وانظر وموت المسيح على الصليب، د.جورج حبيب بابوي، صـ٤٩٣ ومابعدها.

١٤٣: ٢، التبرير الذي نظر إليه هذان التقيان كأمر لا يمكن الحصول عليه تحقق بكفارة المسيح للمؤمنين الحقيقيين بافتدائه لنا .

(ج) التطهير: وهو الاغتسال ، ويذكرون في هذا أنه قبل مجيء المسيح كان أيوب الصديق يقول عن نفسه: "إنه لو اغتسل في الثلج ونظف يديه بالأشنان[١] فإنه يظل مذنبا" أيوب ٩: ٣٠، وكان إرميا النبي يقول: "عن البشر حتى إذا اغتسلوا بالنطرون[٢] فإن آثامهم لا تمحى من أمام الله" إرمياء ٢: ٢٢، وكان حزقيال يقول عنهم " إنهم لم يطهروا ولن يطهروا" ٢٤: ١٣، لكن هذا التطهير الذي كانوا يتوقون إليه ويرونه بعيد المنال قد تحقق بكفارة المسيح[٣].

(د) المصالحة مع الله: وهي عودة علاقتنا الشخصية بالله كأب، وقد دبرها الله بمحبته ورحمته ليعيدنا إلى شركته، ولأن آثامنا وخطايانا لا يمكن تتصالح مع بر الله، لهذا تدخل الله بصلب المسيح ليحررنا من آثامنا، ويعاملنا كأبرار قدامه،

وكانت هذه المصالحة يطلبها الأنبياء السابقون، ولم تتحقق إلا بكفارة المسيح[٤].

---

1 - أي الصابون المنظف، وهو يستخدم في تنظيف الأيدي والثياب، وهذه الكلمة تشير إلى الرماد القلوي الذي يتخلف عن حريق بعض النباتات المالحة في الصحراء، وبخاصة سلسولا القلوي التي تحتوي على الصودا والبوتاس، وهذا الرماد مطهر منظف يصلح للغسيل، وفي مدينة نابلس في فلسطين يمزجون هذا الرماد ليصنعوا منه نوعا مفضلا من الصابون، قاموس الكتاب المقدس، صـ ٨٦.

2 - قلوي غير نقي يظهر أحيانا على سطح بعض الأراضي، مثل بحيرة النطرون في مصر، ويستخرج من بعض النباتات البرية، عن طريق إحراقها، ثم أخذ رمادها، وتتألف مادة النطرون من كربونات الصودا مخلوطة مع التراب وبعض الأملاح الأخرى، وهو مادة تنظيف مثل الصابون، راجع قاموس الكتاب المقدس: صـ٩٧١.

3- راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٦٥ ومابعدها.

4 - راجع الصليب وقصده الكوني: فليب معزوز صـ١١٩،،كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٦٦ ومابعدها.

(هـ) الخلاص من الدينونة الأبدية ويذكر علماء اللاهوت المسيحي، أنه كان أتقى الناس قديما يخشون الموت، لأنهم يخشون الوقوف أمام عدالة الله، "ويفزعون من الوقائد الأبدية التي قضي بها" إشعياء٣٣ :١٤، لكن بفضل كفارة المسيح أصبحنا لا نخشى الدينونة، بل ونثق كل الثقة أن لنا امتياز التمتع بالله في سمائه إلى الأبد[1]، وقد قال المسيح: " والذي يؤمن بالذي أرسله فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة، وإن من يؤمن بالابن تكون له الحياة الأبدية" يوحنا ٦ : ٤٠.

ثانيا البركات الباطنية: ومعناها التوافق مع الله في صفاته السامية، وهذا أمر لابد منه، لأننا إذا حصلنا على الغفران ننجو من الدينونة، لكن نظل عاجزين عن التوافق مع الله، ولذلك لا يكفي منح البركات الخارجية السابق ذكرها، بل منحت أيضا بركات باطنية، وهى تتلخص في الآتي:

(أ) الولادة الروحية، وهي ليست إصلاح الطبيعة البشرية بالصوم والصلاة وسائر العبادات أو بالتوبة، بل الولادة الروحية هي حصول المرء من الله على طبيعة روحية تؤهله للتوافق مع الله في صفاته السامية، لأن النفس الإنسانية ليست مريضة فقط بالخطيئة، ولكنها ميتة أيضا بها، فكان لابد من ولادة جديدة.

(ب) الحصول على الروح القدس وكفارة المسيح: كان الروح القدس (روح الله) يحل على الأنبياء قديما في أوقات خاصة لكي يبلغهم أقوال الله، لكنه لم يسكن في واحد منهم، لأن الخطيئة لم تكن أزيلت، لكن لما تمجد المسيح بالقيامة من الأموات، والصعود بعد ذلك إلى السماء على أساس كفاية كفارته، حل الروح القدس على تلاميذه، وسكن فيهم بناء

---

1 - المرجع السابق صـ ١٦٧.

على وعد المسيح السابق لهم، ومن هذا الوقت إلى الآن وهو يحل بالمؤمنين الحقيقيين.

(ج) البنوة لله: وهي أن يصبح جميع المؤمنين الحقيقيين أبناء الله، والفرق بين بنوتهم وبنوة المسيح أنهم أبناء لله بالنعمة، أما المسيح فو ابن الآب بالحق والمحبة منذ الأزل، ولذلك فهو ابن الله الوحيد.

(د) الحياة الأبدية والصلة الحقيقية بالله: الحياة الأبدية ليست التمتع بالله بعد الانتقال من هذا العالم، بل هي الحياة الروحية التي يهبها الله للمؤمنين بمجرد إيمانهم في هذا العالم، وهى التي تؤهلهم للصلة والتمتع بالله، إن الأنبياء قديما لم يكن في وسعهم الهروب من دينونة الله، ومن ذلك على سبيل المثال عندما ظهر الله لموسى صرخ وقال أنا مرتعب ومرتعد، لكن بفضل كفاية كفارة المسيح أصبح للمؤمنين الحقيقيين امتياز الدنو من الله منذ الآن للتمتع به وبأمجاده.

(هـ) الاتحاد الروحي بالمسيح وإدراك الحقائق الروحية: أخبر الوحي ـ كما يزعمون ـ أن المؤمنين بواسطة إيمانهم الحقيقي بالمسيح، وسكنى الروح القدس فيهم، أصبحوا بمثابة أعضاء جسد المسيح من لحمه وعظامه، أفسس ٥ :٣٠ ، وأصبح المسيح بمثابة الرأس، كولوسي ٣: ٤، واتحاد المؤمنين بالمسيح واتحاده بهم، يكسبهم صفاته السامية، ومن ثم يستطيعون بنعمته أن يعيشوا على الأرض كما عاش بكل قداسة وطهارة.

أما إدراك الحقائق الروحية: فيذكرون عنها أن الإنسان مهما بلغت حكمته لا يستطيع فهم أمور الله؛ لأنها فوق العقل والإدراك، لكن عندما

يؤمن المرء إيمانا حقيقيا بكفارة المسيح، يتولد لديه إدراك واضح لهذه الأمور بواسطة عمل الروح القدس في نفسه[1].

ويختم عوض سمعان حديثه عن نتائج كفارة المسيح بقوله: "فهو تبارك اسمه بسبب قبوله خطايانا على نفسه، حبا بنا وعطفا علينا، لم يحسب ملعونا فقط، بل ولعنة أيضا، وذلك لكي يرفع لعنة الخطيئة عنا، ويجلب إلينا البركة عوضا عنها"[2].

ومما سبق يلاحظ أن المؤمنين بالفداء وكفارة المسيح عن الخطايا الموروثة قد امتازوا ببركات خارجية، فنالوا بإيمانهم بالفداء غفران الخطايا والذنوب الموروثة، وليس هذا فحسب بل صاروا أبرارا كأنهم لم يخطئوا من قبل، وأطهارا بعد أن كانت خطاياهم لا تمحى فحملها المسيح نيابة عنهم، وفضلا عن هذا امتازوا ببركات باطنية، فأصبحوا متوافقين مع صفات الله السامية، وولدوا من جديد بعد محو الخطايا عنهم، بل حلوا واتحدوا بالمسيح، ومن أجل هذا أصبحوا على فهم بأمور الله التي هي فوق العقل، وكل هذا خاص بالمؤمنين الحقيقيين بالفداء مع حرمان الأنبياء السابقين من هذه المزايا، حتى تم الصلب المزعوم.

وأخيرا أقول إن عقيدة الفداء والكفارة بالدم هي الأساس الذي يقوم عليه اللاهوت المسيحي كله، يقول القس إلياس: "إن موت المسيح، وبالتالي سر الفداء يمثل نقطة الدائرة من الدين المسيحي، لقد تم مفعول

---

1 - راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٦٧- ١٧٧.

2 - المرجع السابق صـ ١٥٢.

الوساطة بموت المسيح وسفك دمه الذي به كفر عن خطايانا وأرضى الله أباه"[1].

هذا هو تقرير اللاهوت المسيحي لعقيدة الفداء والكفارة بدم المسيح، وإذاً لابد من صلب المسيح حتى يتم الفداء، وهذا ما أتناوله بعد مناقشتهم في هذه العقيدة.

مناقشة اللاهوت المسيحي في عقيدة الفداء وموقف الإسلام منها

إن عقيدة الفداء والكفارة بالدم يشملها التناقض والبطلان من كل الجوانب، والأدلة التي أوردها علماء اللاهوت المسيحي عليها منقوضة لعدة أمور.

أولاً: أن الاستدلال عليها بما ورد في الأناجيل فرع عن ثبوت صحة تلك الأناجيل وسلامتها من التحريف، وقد أثبتت الدراسات المتعددة أن المسيحيين لا يملكون براهين لثبوتها، ومن ثم فهي محرفة، فليس كل ما ورد فيها صحيح النسبة إلى الوحي الإلهي، بل فيها الصحيح، وفيها ما هو من وحي كتابها[2].

ومثلها في التحريف والوضع الرسائل الملحقة بها، وبولس الذي كثر كلامه عن الفداء في رسائله، كلامه متناقض وباطل ومتصادم مع

---

1 - راجع يسوع المسيح: بولس إلياس صـ٩٤، نقلا عن المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان، صـ ١١٣.

2 - راجع على سبيل المثال، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: القرافي تحقيق د. بكر زكي صـ٨٩، ط، مكتبة وهبة ، ط: الثالثة ٢٠٠٩م، والفارق بين الخالق والمخلوق : عبدالرحمن باجه جي زادة، صـ ١٨ ، ٤٦٣ ومابعدها، ط، دار الاعتصام، ط: الأولى: ١٩٩٨م، والعقائد النصرانية في ضوء الوحي الإلهي :أ.د عبد العزيز سيف النصر،صـ ٨ ومابعدها، والميزان في مقارنة الأديان: محمد عزت الطهطاوي،صـ ١٠٢، و. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية : سعود بن الخلف صـ : ١٩٧ ومابعدها، وغير ذلك كثير.

العقل، بل ومع كلام المسيح، فهو لم يشاهد المسيح، ولم يسمع كلامه، وما ذكره لم يسنده إلى الحواريين، ولم يبين مصدره فيه، وإنما هو من قبل نفسه، يقول الموسيو أرتست ذي بونس الألماني: "إن جميع ما يختص بعقيدة الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الأصيلة"[1].

ويدل على تناقض بولس في عقيدة الفداء مع ما جاء به المسيح قوله: "إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذا مات بلا سبب" غلاطية ٢: ٢١، وهذا النص يتناقض مع قول المسيح، إذ إنه يقول بكل وضوح لتلاميذه "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" متى ٥ : ١٧ ــ ١٨ ، وإذا فبولس يرفض الإيمان بالناموس، ويحدد مجئ المسيح وتجسده من أجل الفداء فقط، وهذا ما لم يقل به المسيح، وإنما قال بنقيضه[2].

ثانياً: إن كل النصوص التي يذكرها النصارى في الدلالة على أن المسيح مات وصلب فداءً للإنسان، لا يوجد فيها نص واحد يعين الخطيئة ــ خطيئة أبينا آدم التي انتقلت في زعمهم إلى أبنائه بالوراثة ــ والتي يزعم النصارى أن الفداء كان من أجلها، ومن يقرأ نصا من هذه النصوص وهو خالي الذهن لا يمكنه أن يفهم منه ما يدل على عقيدة الفداء، وهذا يدل على أن هذه النصوص من وضع النصارى

---

1 ـ الإسلام أي النصرانية الحقة: أرتست ذي بونس صـ ١٤٢، نقلا عن الفارق بين الخالق والمخلوق:صـ ٤٦٣.

2 ـ راجع الميزان في مقارنة الأديان: المستشار محمد عزت الطهطاوي، صـ ٢٤٤.

المتأخرين، ليستدلوا بها على القول بفداء المسيح كفارة عن الخطايا الموروثة.

ويلاحظ على هذه النصوص أن علماء المسيحية حاولوا أن يربطوا بين الصورة التي رسمها سفر التكوين عن خطيئة آدم وحواء، وبين عملية الفداء المزعومة، التي أوردتها أناجيل النصارى، وقد سلمت الكنيسة النصرانية بهذا العرض الأسطوري عن الخطيئة الأصلية، التي تأثر فيها كتاب العهد القديم بالخرافات والأساطير الوثنية[1].

ويذكر بعض الباحثين أن أول من ذكر الخطيئة الموروثة التي كفرها المسيح بفدائه لنا هو أغسطينوس المتوفى عام(٤٣٠م) وقد بني قوله فيها على كلام بولس الذي يقول: "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم" وقد عارضه في ذلك الوقت بيلاجيوس الأيرلندي، وأنكر أن خطيئة آدم ورثها أبناؤه، بل كل إنسان خطيئته تخصه وحده، وتقع عليه وحده، وهكذا ثبتت مقولة أغسطينوس في مسألة خطيئة آدم[2].

ثالثا: على فرض التسليم بصحة بعض النصوص الواردة في الكتاب المقدس التي يستدل النصارى بها على عقيدة الفداء، فهي في جملتها لا تدل على موت المسيح وصلبه، بل يؤولها علماء اللاهوت المسيحي إلى معان مجازية تتفق مع اعتقادهم الفاسد، فمثلا من أقوى أدلتهم قول لوقا: "ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك" هذا النص لا يوجد فيه ما يدل على الفداء بالموت والصلب، فاستدلالهم به على الفداء تأويل مجازى، وإنما حقيقة النص جاءت في سياق الحديث عن الخلاص

---

1 ـ النصرانية في ضوء الوحي الإلهي :أد عبد العزيز سيف النصر ،صـ ٨

2 ـ راجع دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية : سعود بن الخلف صـ: ٣٢١ ومابعدها، هل افتدانا المسيح على الصليب:د منقذ محمود السقار صـ٢٢٢ومابعدها، وانظر تاريخ البطاركة:ساويرس ابن المقفع ، جـ١/٢٧٤.

بالعمل الصالح الذي أمر به المسيح، فقد ورد هذا النص في سياق قصة التلميذ زكا الذي أعطى نصف أمواله للفقراء، فنجا بسبب ذلك[1] "فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص هذا البيت، إذ هو أيضا ابن إبراهيم، لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك" لوقا ١٩: ١٠، وإذا فالمراد بالخلاص في النص العمل الصالح؛ لا الخلاص بدم المسيح وصلبه.

ومن أدلتهم السابقة على الفداء قول المسيح: "أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" يوحنا١٠: ١١، هذا النص ليس فيه لفظ يؤخذ على حقيقته ويدل على الموت والصلب، ومن ثم الفداء، وقد حمله عوض سمعان على معنى مجازي فقال: "يقصد بالخراف المؤمنين الحقيقيين، أوجه الشبه بينهما أن الخراف تكره القذارة وتطيع راعيها، والمؤمنون الحقيقيون يكرهون الشر ويطيعون الله"[2]، وهذا تأويل مجازي، ويمكن حمل هذا النص على معنى مجازي آخر يليق بذات المسيح، فيكون قوله أنا الراعي الصالح بمعنى رعايته لأمته ببذل ما يملك من جهد وقوة في تبليغ الرسالة من أجل هدايتهم وصلاحهم، وهذا هو الهدف المنشود الذي من أجله أرسل المسيح عليه السلام.

كما أن الراعي الصالح يبذل ما يملك من مال وجهد من أجل رعاية خرافه، والعناية بهم حتى يحقق الربح المأمول، ويكون وجه الشبه بينهما أن كلا منهما يبذل ما يملك من جهد ومال لتحقيق هدفه.

---

1 - راجع هل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار صـ٢٢٢ومابعدها.

2 - راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ١٣٢.

وهكذا لا نجد نصا صريحا في كل النصوص الواردة في الفداء يدل على صلب المسيح وموته من أجل خطيئة آدم وذريته، وإنما هي تأويلات مجازية، ومن ثم يمكن حمل كل النصوص الواردة في الفداء بتأويلها إلى معان مجازية أخري تتناسب مع السياق الواردة فيه، وتليق بذات المسيح عليه السلام، هذا على فرض صحة تلك النصوص، مع العلم أن المجاز يفيد الظن لا اليقين، ولا يؤخذ به في أصول العقائد، وهذه المسألة هي أصل العقيدة في اللاهوت المسيحي، وبهذا ينتفي اليقين من أدلتهم على هذه العقيدة برمتها.

ويؤكد ماسبق من استخدام اللاهوت المسيحي للمجاز، أن لفظ الفداء والخلاص ورد في مواضع متعددة من التوراة، ولم يحمل على الصلب والموت، وقد سمت التوراة موسى – عليه السلام – فاديا مع أنه لم يصلب ولم يمت للتكفير عن خطايا أحد، ونص آخر من التوراة يقول: "هذا موسى الذي أنكروه قائلين: من أقامك رئيسا وقاضيا، هذا أرسله الله رئيسا وفاديا بيد الملاك الذي ظهر في العليقة، هذا أخرجهم صانعا عجائب وآيات في أرض مصر، وفي البحر الأحمر، وفي البرية أربعين سنة" أعمال، ٧: ٣٥، والمقصود بهذا أن موسى خلصهم، وكان فاديا لهم من يد فرعون.

والتوراة استخدمت معنى الفادي والمخلص بمعنى الخلاص الدنيوي في نصوص كثيرة منها على سبيل المثال: " أخرجكم الرب بيد شديدة، وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر" تثنية،٧ :٨، والفداء الوارد في النصوص السابقة بمعنى الفداء والخلاص الأرضي، وهذا

الخلاص رحمة من الله وفضل منه، ولا يحتاج إلى سفك دماء أو صلب [1].

رابعا: عقيدة الفداء قائمة على الاعتقاد بإلهية المسيح وحلوله واتحاده وتجسده بالناسوت، وهذه العقيدة باطلة، و من المستحيل قبولها عقلاً للآتي:

(أ) معظم الفرق النصرانية تقرر أن عملية الصلب لم تتم على أقنوم الابن الإله كما يزعمون، وإنما وقعت على المظهر الإنساني له، وهو المسيح عليه السلام، الذي يعبرون عنه بالناسوت، وهذا الناسوت ليس إلها وإنما هو مخلوق، وعملية الصلب وقعت على الناسوت المخلوق وليس على اللاهوت، وهذا القول منهم دعوى مجردة عن الدليل يكفي فيها المنع.

(ب) لأنها تعني أن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه قد تقمص هيئة النطفة، ودخل في رحم مريم، وعاش في تلك الأوحال والأقذار فترة من الزمن يرضع الدم ثم اللبن، وتمر عليه أحوال وأطوار الجنين، والوضع ثم الطفولة ومستلزماتها، وكل هذا محال على الإله، ومثل هذا لا يسمى إلها.

ثم يقال لهم من الذي كان يدير العالم ويدبر شؤونه وربه وسيده ومدبره في زعمكم الفاسد في بطن امرأة يتقلب بين الفرث والدم؟ فهل يعقل المنتمون

للنصرانية ما يقولون ويزعمون؟ أم لا يعقلون؟[2].

---

1 ـ هل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار صـ٢٢٦ومابعدها.

2 ـ راجع الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: القرافي، صـ٢٥٦، و دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف صـ: ٢٩٧.

(ج) قولهم اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن، وهو تشبيه اليعقوبية (الأرثوذكس) وتارة باتحاد النار بالحديد، أو النفس بالجسم، وهو تشبيه الملكانية (الكاثوليك) وغيرهم، ومن المعلوم أن الماء إذا امتزج باللبن لا يتميز أحدهما عن الآخر، وكذلك النار التي في الحديد متى طرق الحديد أوضع عليه ماء لحق ذلك بالنار التي فيه، والجسم إذا ضرب وعذب لحق ألم الضرب والعذاب للنفس، فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت، من إهانة اليهود وتعذيبهم وإتلافهم له بالصلب الذي ادعوه فداء عن الخطايا، وهذا لازم عن القول بالحلول والاتحاد، إذ لو كان ما أصاب أحدهما لم يصب الآخر لانتفى الحلول والاتحاد، وثبت التعدد[1] .

خامسا: يعتقد النصارى أن الفداء بالمسيح كان من أجل رفع التناقض بين عدل الله ورحمته، لأن الحق المطلق والفريد في قداسته، لا يستطيع أن يخرق قوانينه.

ويُرد عليهم فضلا عما سبق بأن هذا الاعتقاد ليس فيه إنكار لرحمته تعالى فقط، ولكن فيه أيضا إنكار لعدالته، إذ إن الخلاص الذي يتطلب الجزاء بالدم يقتضي التعطيل الكامل للرحمة، ومعاقبة الإنسان البريء الذي لم يرتكب ذنبا بصلبه وموته من أجل خطايا الآخرين ينافي عدالته تعالى.

---

1 ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية جـ٤/صـ ٥٩، نشر: دار العاصمة، السعودية، ط: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، وانظر الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: القرافي، صـ٢٥٨ ومابعدها.

وإذا كان المسيح ابن الله كما تزعمون، فأين الرحمة التي جعلت الله في زعمهم يشفق على عبيده وخلقه، ويترك ابنه للصلب والموت والتعذيب، وأي عدل في هذا؟ وما الفائدة من الفداء بموت المسيح وصلبه؟.

والحقيقة التي يقبلها العقل السليم ،أن موت المسيح ليس فيه أدنى فائدة، لا لله تعالى، لأنه تعالى منزه عن النفع والضرر، فهو النافع الضار، ولا للمسيح، لأن قتله وصلبه وتعذيبه والتنكيل به على خشبة مثل المجرمين لا شك أنه يلحق به الضرر، سواء أكان لاهوتا كما يزعمون، أم ناسوتا، ولا فائدة تعود على الإنسان بهذا الفداء، لأن ذبح المسيح وصلبه، لا يعود عليه بأدنى نفع، لأنه لا يأكل منه ولا يشرب، والذي يملك الفداء هو الله عز وجل بعفوه عن خطيئة الإنسان إن كان له خطيئة، وربما لو كان الفداء بحيوان لكان أنفع للإنسان، إذ إن الفداء بالحيوان فيه توسعة على الفقراء والمساكين بأكل لحم هذا الحيوان المفدى به، والانتفاع بجلده إلى غير ذلك، لكن ما الذي يعود على الإنسان بذبح المسيح؟ غير الألم والحزن على إنسان برئ لا ذنب له، أو على إله عاجز عن الغفران والعفو فضحي بنفسه لبيان عجزه، إن هذا الإله المزعوم مثل طبيب حطم رأس نفسه ليعالج الصداع في رؤوس مرضاه.

وقولهم إن الله لا يستطيع خرق قانونه، قول فاسد، إذ أنه تعالى ليس فوقه آمر أو مشرع، بل هو واضع القانون ومشرعه، وله أن يعدله، أو يتنازل عنه بعفوه تعالى عن خطايا التائبين.

سادسا: الشروط التي وضعها اللاهوت المسيحي للفدية شروط وهمية من خيالهم مفصلة على أسطورة الفداء التي اخترعوها، ومن هذه الشروط

أن المسيح قبل الموت بإرادته المطلقة من أجل رفع الخطايا عن آدم وذريته، وهذا الكلام ليس صحيحا على الإطلاق، ونصوص الأناجيل تكذبه، لأنه لو قبل الموت بإرادته فما الذي دعاه للحزن والاكتئاب؟ وما الذي جعله يغير رأيه ويعدل عن صلبه؟ وما الذي جعله يصلي ويتوسل إلي الله أن يجيز عنه هذه الكأس، وأن يخلصه من الصلب؟ وكان عنده خوف وخشية وحزن وبكاء، وكان يرجو تلاميذه أن يصلوا ويتوسلوا لله ليبعد عنه كأس الموت [1]، وأنه حين علم أن أعداءه يتآمرون على حياته أعلن قائلا لهم: "نفسي حزينة حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا" مرقس ١٤: ٣٤، وجاء في نص آخر"وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا معي"إنجيل متى، ٢٦ : ٣٨.

٣٧

أما الصراخ والبكاء والتضرعات ففي قوله: "الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من اجل تقواه" عبرانيين ٥ :٧، ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: "إيلى إيلى لما شبقتنى" أي إلهي إلهي لماذا تركتني متى: ٢٧ــ ٤٦ .

كما نصت كتب الأناجيل على أن عيسى عليه السلام كان يصلي ويدعو الله ويبتهل ويتضرع إليه أن ينقذه من يد أعدائه، ومن المصير الذي أعدوه له "ثم تقدم قليلا وخر على وجهه، وكان يصلي قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" متى ٢٦ : ٣٩.

---

1 ـ المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان، صـ ١١٤.

وبملاحظة النصوص السابقة نجد أن المسيح كان حزينا ومكتئبا، والحزن والاكتئاب ينافي الإلهية، لأن الحزن ليس من عوارض الناسوت حتى يقال: كان حزنه بناسوته، وإنما من عوارض النفس والروح.

وكذلك قوله: "ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" فالإرادة أيضا من أفعال الروح، لأنها عبارة عن توجه الروح لاختيار أمر من الأمور، وفي النص إرادتان مختلفتان: واحدة منفية، والأخرى مثبتة، ولا يمكن أن يكون مصدرهما واحدا، لأنه يلزم منه اجتماع النقيضين، وهو محال، وثبت بهذا أن الإرادة المنفية هي إرادة المسيح، والإرادة المثبتة، هي إرادة الله عز وجل.

وفى النصوص السابقة أيضا أنه كان يتضرع ويبتهل، فهل كان تضرعه لنفسه بناء على قولهم باتحاد روحه مع الإله؟ ولماذا يتضرع وهو بزعمهم إله على كل شيء قدير.

والصحيح أن صلاته ودعاءه وتضرعه إلى ربه أن تعبر عنه هذه الكأس، دليل على عبوديته لله عز وجل لا على إلهيته.

وقوله "فلتعبر عنى هذه الكأس" دليل على أنه عليه السلام لا يدري ما يفعل الله به، وكونه لا يعلم يتنافى مع إلهيته[1] كما يزعمون.

وأيضا قولهم: إن الهدف من تجسد المسيح هو الفداء بالصلب يتعارض مع النصوص السابقة التي بينت أن يسوع كان يصرخ ويتضرع حتى يخلصه الله من الصلب على خلاف المتوقع، إذ المفترض أن يكون سعيدا فرحا بما يحدث، لأنه وضع خطة الصلب لكي يخلص البشرية من الخطيئة الأصلية كما زعم كتاب الأناجيل وشراحها.

---

1 - راجع الفارق بين الخالق والمخلوق : عبدالرحمن باجه جي زادة، صـ٣٦٥ وما بعدها.

سابعا: من الشروط التي وضعها اللاهوت المسيحي للفادي أن يكون معصوما من الخطيئة، ولا يكون مثل آدم لأنه وقع فيها بعد هبوطه إلى الأرض، ونحن نقول بعصمة جميع الأنبياء آدم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها، وأجمعوا على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والموبقات[1]، وجمهور أهل السنة يرون أن كل الأنبياء والمرسلين معصومون من الصغائر والكبائر بعد البعثة، وقالوا بجواز صدور الصغائر الغير منفرة بعد البعثة سهوا لا عمدا، وذلك لأن الله اختارهم واصطفاهم للنبوة والرسالة[2] قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران: ٣٣.

أما النصارى مع قولهم بعصمة الفادي وخلوه عن المعصية فهم يتناقضون مع أنفسهم كما هو عادتهم في كل العقائد، وذلك بنسبتهم للمسيح كثيرا من المعاصي والآثام والأوزار، فالمسيح كما تذكر الأسفار الإنجيلية، سبّاب وشريب خمر، ومستوجب لدخول جهنم، ومحروم من دخول الملكوت.

فقد اتهمه متى بشرب الخمر، "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هو ذا إنسان أكول، وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة" متى١١: ١٩، ونسبت إليه الأناجيل الكثير من السباب والشتائم كما في قوله لتلميذيه:"فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع

---

1 - راجع المواقف:للإيجي، جـ٣/صـ ٤١٥، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر: دار الجيل، لبنان، بيروت، ط، أولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

2 - راجع النبوات والسمعيات: د. محيي الين الصافي صـ٧٢، دار الطباعة المحمدية، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.

ما تكلم به الأنبياء" لوقا ٢٤: ٢٥، وقوله لبطرس: "اذهب عني يا شيطان "متى١٦: ٢٣، وكذا شتم الأنبياء واتهمهم بأنهم لصوص في قوله " :قال لهم يسوع أيضاً: الحق الحق أقول لكم: إني أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص" يوحنا،١٠: ٧ــ ٨، وهذا السباب وغيره يستحق فاعله بل فاعل ما هو أقل منه نار جهنم، وذلك حسب العهد الجديد، يقول متى: "ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" متى٥: ٢٣، وقال بولس متوعداً الذين يشتمون والذين يشربون الخمر بالحرمان من دخول الجنة: "ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" كورنثوس الأولي ٦: ١٠، فمن استحق النار هل يصلح ليفدي البشرية كلها[1] ؟ وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه أن يفعل هذا، ونحن نقول بعصمته كسائر الأنبياء.

واللاهوت المسيحي لا ينسب المعاصي والذنوب إلى المسيح فحسب، وإنما ينسب إلى معظم الأنبياء في كتابهم المقدس ارتكاب جميع الكبائر التي يستنكف عامة المسلمين عن مجرد الحديث عنها، وسأقتصر هنا على ذكر أسماء بعض الأنبياء، على سبيل المثال تنسب التوراة إلى يعقوب عليه السلام أنه سرق مواشي من حميه وخرج خلسة دون أن يراه أحد، سفر التكوين ٣١: ١٧.

ومن ذلك أيضاً: أن لوطاً عليه السلام شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنا بهما الواحدة بعد الأخرى كما تزعم رواية التوراة سفر التكوين: ١٩: عدد٣٠، وأما داود الذي يقول في صفته القرآن {إِنَّهُ أَوَّابٌ} ص: الآية ٥، فيقول العهد القديم: إنه زنا بزوجة رجل من قواد

---

1 ـ هل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار صـ١٩٥ ومابعدها

جيشه، ثم دبر حيلة لقتل الرجل، فقتل، وأخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه فولدت له سليمان، صموئيل الثاني: إصحاح: ١١: ١، وأما سليمان الذي يصفه القرآن بأنه {نِعْمَ الْعَبْدُ} ص: الآية ٣٠، فيقولون: إنه ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام، وبنى لها المعابد بسبب حب النساء الوثنيات اللاتي أملن قلبه الملوك: الأول: ١١/٥، ويقولون: إن هارون صنع عجلاً وعبده مع بني إسرائيل[١] الخروج: ٣٢/ ١.

وقد استغل علماء النصارى هذه الروايات الغريبة لصالحهم، وبما أنهم ــ لابدّ أن يؤمنوا بالتوراة ــ فقد اتخذوا من هذه الروايات سنداً يستندون إليه في تصحيح عقيدتهم في المسيح ــ عليه السلام ــ وأنه هو المخلص، ولا مخلص لهم غيره، إذ أنه الوحيد الذي جاء بلا خطيئة، لأنه ولد بدون الأب المورث لها، ولأن المخطئ لا يخلص المخطئين، وهذه العقيدة مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم وللعقل، بل وقد خالفها كتاب النصارى أنفسهم، فقد قال عوض سمعان عند حديثه عن خلاص الأنبياء والأتقياء الذين بعثوا قبل المسيح: "أن الله أوصى الناس في العهد القديم بتقديم الذبائح كفارة عن نفوسهم، ولذلك كان كل من يتوب عن خطاياه ويقترب إلى الله بهذه الذبائح يتمتع بالغفران والقبول أمامه، ليس لأن هذه الذبائح كافية في ذاتها، بل لأنها كانت رمزا إلى كفارة المسيح"[٢].

ويرد عليه بأنه إذا كانت الذبائح كافية مع التوبة والتقرب إلى الله بالنسبة للأنبياء والأتقياء السابقين، فلم لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لمن أتوا بعد المسيح؟!

---

1 ـ منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة: تامر محمد محمود متولي صـ: ٧٢٥ ، نشر: دار ماجد عسيري، ط: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

2 ـ راجع كفارة المسيح: عوض سمعان، صـ٢٢٢.

كما أن قول النصارى أن المسيح لم يرث الخطيئة في طبيعته الإنسانية، لأنه ولد بدون الأب المورث لها، قول باطل، إذ إنه يلزم أن الخطيئة التي ورثها كل أبناء آدم، أن يرثها المسيح مثلهم عن طريق أمه، فهو قد ولد مثل جميع الناس من بطن مريم التي هي أيضاً حاملة للخطيئة، والابن يأتي بجينات وراثية من أبيه وأمه، وكان المسيح كما تقرر العقائد المسيحية إنسانا بجانب كونه إلها، وصلب من حيث كونه إنساناً[1] ومادام الأمر كذلك فيلزمه وراثة الخطيئة من أمه إذ أنها من أبناء آدم.

إذا فالمسيح بجسده الفادي الحامل للخطيئة وراثة من أمه لا يصلح أن يكون فادياً، وهذا لازم اعتقادهم، فإن زعمت النصارى بأن مريم قد تطهرت من خطيئتها بوسيلة ما من غير حاجة للفداء، فلم لا يطهر جميع الناس بهذه الوسيلة مثلها ؟!

وإن قال النصارى بأن المسيح طهر بالتعميد الذي عمده يوحنا المعمدان وعمره ثلاثون سنة، فقد قالوا بحلول الإله في جسد خاطئ، ويلزمهم أيضاً أنه يجوز طهارة كل واحد من الخطاة بالتعميد من غير حاجة لخلاص وفداء[2].

ثامنا: إذا كان ابن الله تجسد كما يزعمون لفداء الإنسان بمحو خطيئة آدم فما العمل في الخطايا التي حدثت بعد صلب المسيح، ومنها ماهو أكبر من خطيئة آدم، إذ أن خطيئته كانت مجرد أنه أكل من الشجرة، فماذا نصنع في الخطايا التي تحدث يوميا من قتل وسب وزنا وشرك،

---

1 - راجع ماهي النصرانية: محمد تقي الدين العثماني، صـ٨٩ في الحاشية.

2 - هل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار، صـ ١٩٤.

ولماذا كان التجسد والفداء بالقتل لخطيئة واحدة، ثم تركت باقي الخطايا وهي من الكبائر بل فيها ماهو شرك وكفر بغير فداء[1].

ثم نقول لهم إن المراد من كون المسيح كفارة للخطايا أحد أمرين:

الأول: تكفير خطايا الناس التي اقترفوها في الماضي، أو التي سيقترفونها في المستقبل، وكلاهما باطل.

أما الخطايا الماضية فلا تستحق هذا الفداء الإلهي في زعمهم، وقد كان يتم تكفيرها بالتوبة والقربان لدى اليهود قبلهم وكان كافيا وهم يقرون بذلك .

أما الخطايا المستقبلة فلا يستطيع النصارى أن يزعموا أن صلب المسيح مكفر لها؛ لأن ذلك يعني إباحتها، وعدم ترتب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم، وفي هذا إبطال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين وبولس إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا، وفتح للإباحية والفجور والكفر، مع العلم أن تكفير الخطايا إذا أطلق لا يراد به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام، وهي الخطايا الماضية؛ إذ التكفير من كفر، أي: ستر وغطّى، ولا يكون ذلك إلا فيما وقع وحدث[2].

تاسعا: نقول لهم هل كان الله تعالى قادرا على خلاص آدم وذريته بغير موت المسيح وصلبه أم لا؟

فإن قالوا لا يقدر فقد كفروا بنسبة العجز لله تعالى، وإن قالوا يقدر كفروا بنسبة الظلم لله تعالى للمسيح بإهانته وصلبه ووضعه مثل

---

1 - راجع الميزان في مقارنة الأديان: المستشار محمد عزت الطهطاوي، صـ ١٥٧.

2 - دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف، صـ: ٣٢٣.

المجرمين على الصليب بأيدي اليهود، وليس من العدل أن ينجي الله آدم عليه السلام فيفد به ابن الله تعالى.

وقولهم إن من نتائج الكفارة التطهير وانطفاء فتن الشيطان، وبطلان الموت، باطل للآتي:

(أ) من الذي تطهر بفداء المسيح من آمن به أو من كفر به؟ فإن قالوا من كفر به، فكيف يكون تطهير الخطايا بأقبح منها، من صلب الرب وإهانة الخالق عزوجل؟

وإن قالوا من آمن، فكيف يكون فعل الكفار ــ أي اليهود ــ طهرا للأبرار بالإيمان؟

والحق أن الذي يطهر الإنسان من خطاياه هو عمله الصالح، ثم الإيمان كاف في التطهير، وإلا فلا عبرة به.

ثم يقال لهم أي فساد زال من العالم بقتل المسيح وصلبه، وأي صلاح حصل، فالعالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح، وعادل وظالم وبار وفاجر، بل المصيبة التي حصلت بإهانة الرب وصلبه كما تزعمون لم يحصل في العالم قبلها مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان العالم في غنىً عن هذا التطهير.

(ب) وقولهم بانطفاء فتن الشيطان معارض إذ أن العالم مملوء بالضلال والفتن بل ازداد الضلال وكثر الكفر والجهل والعناد من بعد صلب المسيح كما يزعمون، وهل هذا إلا نتاج وسوسة الشيطان، ثم قولهم ببطلان الموت كذب والواقع أننا كل يوم نشيع موتى، والمقابر تعمر، و

العصاة والطغاة أكثر من أن يحصون[1]وإن قالوا الموت مجازي يراد به موت الخطيئة كذبهم الواقع لأن الخطيئة لم تزل موجودة.

عاشرا: قولهم إن الهدف والغاية التي جاء المسيح وتجسد من أجلها هو أن يكون وسيطا بين الله وبين عباده فقام بفدائهم بنفسه، قول باطل ، إذ أن هذا القول ينزل بالمسيح إلى مرتبة لا يرضاها له أي مؤمن بالله واليوم الآخر، فكم من الأنبياء قتل قبل عيسى، ولم يقدم هذا ولم يؤخر في موضوع رسالاته، ومن بعده مات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والأنبياء جميعا يموتون مثل سائر العباد، ليسوا بخالدين بذواتهم، وإنما خالدون برسالاتهم، قال تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ } الأحقاف: ٩، وقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } الزمر: ٣٠، وإذاً فقولهم إن الهدف من تجسد عيسى ونزوله هو موته على الصليب فيه إهانة لقدره عليه السلام، وإنما جاء عيسى برسالة قيمة تحمل للناس الهداية والخير، وجاء ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وليدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وإلى الإيمان باليوم الآخر، وإلى الحب والإيثار، وإلى الشفقة والرحمة وإلى إتباع الخير وترك الشر، هذه هي مهمة عيسى عليه السلام التي جاء من أجلها، لهداية أمته، والأخذ بيدها إلى الحق[2]، وهذا ما أكده المسيح فبين لهم أنه جاء من أجل تذكير الناس بالقيامة والحساب والتبشير بالنبي الخاتم "وجاء المسيح إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" مرقس، ١: ١٤.

---

1 - راجع الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: القرافي، صـ ٢٥٤ - و٣٠٠ ومابعدها.

2 - المسيح إنسان أم إله: د محمد مجدي مرجان، صـ١٣٢ ومابعدها.

وجاء الإسلام فحرم الوساطة التي يدعيها النصارى، وقضى على المدعين والمضللين، قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة: ٢٥٥، حتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس وسيطا بين الله تعالى وبين الناس، وإنما هو عبد الله ورسوله، وهو مذكر وليس مسيطرا، { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} الغاشية: ٢١، ٢٢، وقال تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } الشورى: ٤٨، وإذا كفر الناس وتمادوا في غيهم وشرورهم فلن تنفعهم شفاعة، ولن تجدي معهم وساطة[1] قال تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} التوبة: ٨٠، وإذا فليس في الإسلام وسطاء، بل الله عز وجل قريب من عباده، ولا يحتاج إلى واسطة من أحد قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} البقرة: ١٨٦.

وأخيرا فقد تبين لنا مدى التناقض والتضارب في عقيدة الفداء، فقد اخترع بولس هذه الفرية بدون دليل من شرع أوعقل، وتبعه فيها النصارى حتى يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ليرفعوا عن المسيح تلك السبة الشنيعة التي تلحقه بالصلب وهي اللعن، فادعوا أن الصلب هو الشرف الحقيقي وهو الهدف الأسمى من رسالة المسيح، وأنه لولا الصلب ما جاء المسيح، وقد تبين فيما سبق فساد هذا الاعتقاد،

---

1 ـ المرجع السابق صـ ١٢٦ .

وإذا فهذه العقيدة باطلة، وهي كما يقرر كثير من الباحثين مأخوذة من الأديان الوثنية، وهذا ما أتناوله في التالي.

مصدر عقيدة الفداء في اللاهوت المسيحي

تبين فيما سبق أن بولس هو الذي اخترع عقيدة الفداء في الدين المسيحي، والسؤال الذي يطرح نفسه من أين أتى بولس بهذه العقيدة التي ربط فيها بين الخطيئة والفداء؟ التي تبنتها الكنيسة من بعده، وقد سبق أن بينت أنه على فرض صحة بعض النصوص الواردة في عقيدة الفداء، فإنه لايوجد نص واحد لدى النصارى يربط بين الخطيئة والفداء، أو يدل دلالة صريحة وقطعية على هذه العقيدة الفاسدة، إذا فما مصدر هذه العقيدة التي هي أصل الدين المسيحي؟

والإجابة على هذا السؤال يمكن أن نجدها عند المهتمين بالتاريخ القديم، وعلماء مقارنة الأديان في بحثهم لعقيدة الفداء والصلب، وكانت أراء أكثرهم متقاربة في بيان جذور هذه العقيدة، وكيفية وصولها للدين المسيحي المحرف، فذكروا أن جذورها وثنية محضة، تمتد إلي مئات السنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وقد تأثرت المسيحية فيها بالأديان الوثنية المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية، وبلدان الشرق الأدنى، لاسيما في مصر وسوريا وبلاد فارس، وفي اليونان والهند والصين، حيث كانت طقوس العبادة تُمثل على المسرح موت الآلهة، وبعثهم تشجيعاً للراغبين في الانتماء إلي تلك الأديان، ويؤكد ذلك المؤرخ المسيحي (ول ديورانت) فقد ذكر عند حديثه عن عقيدة الفداء أن بولس أنشأ لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة، ولعله تذكر التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس من اليهودية، ومن الأديان الوثنية، حيث كانت

هذه العقيدة منتشرة منذ زمن بعيد في مصر وآسيا الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة ــ من زمن بعيد بأوزوريس، وأتيس وديونيش ــ التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان، وكان يلقب سوتر(المنقذ) واليوثريوس (المنجي) وكان لفظ كريوس الرب الذي سَمَى به بولس المسيح، هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية على ديونيش الميت المفتدي، وأن الأمميين في بلاد اليونان الذين آمنوا بالمسيح، ولم يروه، قد آمنوا به كما آمنوا بآلهتهم المنقذة، التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان[1].

وقد ذكر السير آرثر فندلاي في كتابه "صخرة الحق" أسماء ستة عشر رجلا اعتبرتهم الأمم الوثنية آلهة سعوا في خلاص هذه الأمم فماتوا وصلبوا من أجل خطايا العالم، وسمي كل واحد منهم مسيحا، وسوف أذكر بعضهم في الجدول الآتي:

م	المخلص الفادي	المكان	التاريخ
١	أوزوريس	مصر	١٧٠٠ ق.م
٢	بعل	بابل	١٢٠٠ق.م
٣	أنيس	فرجيا	١١٧٠ ق.م
٤	ناموس	سوريا	١١٦٠ ق.م
٥	ديوس فيوس	اليونان	١١٠٠ ق.م،
٦	كرشنا	الهند	١٠٠٠ ق.م
٧	أندرا	التبت	٧٢٥ ق.م
٨	بوذا جوتاما	الصين	٥٦٠ ق.م

1 ـ راجع قصة الحضارة:جـ ١١، صـ ٢٦٤، ترجمة محمد بدران، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، وانظر المسيحية: د. احمد شلبي، صـ١٣٣، ومابعدها.

٩	بروميثوس	اليونان	٥٤٧ ق.م
١٠	مذرا أو مترا	فارس	٤٠٠ق.م

وبمقارنة عقيدة الفداء عند الأمم الوثنية السابقة نجد تشابهاً كبيراً مع ما يقوله النصارى في المسيح المخلص والفادي[١]، مما يدل على تأثرهم بالوثنيات القديمة.

ومن الذين ردوا هذه العقيدة إلى جذور وثنية، محمد طاهر التنير مؤلف كتاب "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" وهو عبارة عن خلاصة إطلاعه على ما يقرب من أربعين كتاباً أجنبياً في مقارنة الأديان والتاريخ القديم، حيث جمع الكثير مما يشترك فيه المسيحيون في العقائد مع الوثنيين المختلفين في النحل والأمكنة والأزمنة، ومنه أنقل بعض صور التشابه في عقيدة الفداء بين المسيحيين والأديان الوثنية القديمة فيما يأتي:

١ــ في مصر: يعتقد المصريون القدماء أن (أوزوريس) هو مخلص الناس من شرورهم وآثامهم، وأنه يلاقي في سبيل هذا الاضطهاد والعذاب، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل، وقال موري: "يحترم المصريون أوزوريس، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة، وكان حورس يُدعى المخلص والفادي وإله الحياة، والواحد الأبدي[٢].

---

1 ـ راجع العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، د. هاشم جودة، صـ ٢٥٩ ، ط، مطبعة الأمانة بشبرا مصر، سنة ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

2 ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروني، صـ٧٨.

٢ــ الهند: يعتقد الهندوس أن الإله كرشنا هو الفادي والمخلص، قال دوان: "يعتقد الهنود في معبودهم كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم، قد تحرك شفقة وحنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه"[١].

ويقول القس جورج كوكس: "يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً، لأنه قدم شخصه ذبيحة، ومن الألقاب التي يُدعى بها كرشنا: الغافر من الخطايا، والمخلص من أفعى الموت"[٢].

٣ ــ الصين: يعتقد الصينيون في بوذا أنه الفادي والمخلص، وبوذا وإن كان بدأ دعوته في الهند إلا أنها انتشرت في الصين بعد موته، وما يروى عنه أكثر تشابها وانطباقاً على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه، فبوذا هو الابن البكر الذي قدم نفسه ذبحية ليكفر آثام البشر، وهوالذي جعلهم يرثون ملكوت السموات، وقد كانت ولادته بسبب خلاص العالم من التعاسة ويدعون بوذا الطبيب العظيم، ومخلص العالم، والممسوح، والمسيح المولود الوحيد، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر، وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر.

وقال بيل: قال جوتاما[٣]: سأتخذ جسدا ناسوتيا، وأنزل فأُولد بين الناس؛ لأمنحهم السلام وراحة الجسد، ولأمحو أحزان وأتراح العالم، وأن عملى هذا لا أبغي به اكتساب شئ من الغنى والسرور.

---

1 ـ المرجع السابق : ص٧٥.
2 ـ المرجع السابق : صـ ٧٥ وما بعدها، وانظر تفسير المنار ،جـ ٦ / صـ٢٧ .
3 ـ جوتاما اسم من أسماء بوذا.

وقال هوك: إن بوذا في نظر البوذيين إنسان وإله معا، وأنه تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم، ويعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس.

وقال مكس مولر: البوذيون يزعمون أن بوذا قال: دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع على كي يخلص العالم[1].

٤ ــ يقول السوريون أن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس، ويدعونه المخلص الفادي المصلوب، وكانوا يحتفلون في يوم معين من السنة تذكارا لموته، فيصنعون صنما على أنه هو، ويضعونه على فراش، ويندبونه، والكهنة ترتل قائلة: ثقوا بربكم فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص.

٥ــ فارس: كان الفرس يدعون مترا "الوسيط بين الله وبين الناس، والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم ويدعونه الكلمة والفادي[2].

وحتى لا أطيل أكتفي بما سبق، ومثل هذا كثير عند علماء مقارنة الأديان، والتاريخ القديم، وقد وضح لنا بجلاء مدى التشابه والتطابق الوارد في عقيدة الفداء بين الأديان الوثنية السابقة وبين اللاهوت المسيحي، والعجيب أن أصحاب هذه الأديان لم يلعنوا مخلصهم وفاديهم كما لعن النصارى المسيح فقد اعتبروه ملعونا ولعنة كما تقدم، وحاشاه (عليه السلام) مما وصفوه به.

---

1 ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروني صـ٧٧، وانظر الديانات القديمة، الإمام محمد أبو زهرة، صـ ٤٨ وما بعدها ، ط، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م.

2 ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروني صـ٧٩، و٨١ ومابعدها.

ثانيا: إنجيل
كل واحد، و
اليهود، وصلو
٢٤، ٢٤ ــ ٨
ثالثا: إنجيل
ويجلدونه ويق
شيئا، وكان
أريحا كان أعم
سأل ما عسى
فصرخ قائلا
.٣٨
رابعا: إنجيل يو
ومن هنا، ويسو
الصليب، وكان
كثيرون من اليه
المدينة، وكان
اليهود لبيلاطس
أجاب بيلاطس و
يسوع أخذوا ثياب
القميص أيضا، و ك
بعضهم لبعض لا ن
اقتسموا ثيابي بينهم
١٩ : ١٨ ــ ٢٤ .

المسألة الخامسة

عقيدة الصلب في اللاهوت المسيحي

تبين أن عقيدة الفداء بالدم عن الخطايا المورثة، تتعارض مع العقل والشرع، وقد ثبت فيما سبق أن النصارى أخذوها من الديانات الوثنية القديمة التي تقرر تضحية الإله بنفسه فداء عن الإنسان لخلاصه من خطاياه، وكانت هذه العقيدة هي المادة الخصبة لإثراء عقيدة الصلب وتبريرا لها.

والصلب[1] هو التعليق على خشبة الصليب، واليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوبا، ويزعم اليهود أن المسيح كفر بالله تعالى، والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم، فقد ورد في سفر التثنية "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنها في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله" الإصحاح ٢١: ٢٢ ــ ٢٣، أما النصارى فهم يعتقدون أن المسيح مات وصلب ليفتدي الإنسان ويخلصه من خطاياه، ، وتم ذلك بمحض إرادته.

وفي قصة الصلب تتحدث الأناجيل الأربعة عن تفاصيل كثيرة لتأييد عملية الصلب المزعومة، وقد وصفت نصوص الأناجيل الملابسات السابقة على القبض على المسيح لتقديمه للمحاكمة، وإصدار الحكم عليه بالموت من قبل بيلاطس الحاكم الروماني بتأليب من اليهود،

1 ـ الصلب هو تعليق الضحية على الصليب تفيذا لحكم الإعدام فيها، ويتم ذلك بربط اليدين والرجلين على الصليب، ومن صور الصلب تسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية، وكان يتم ذلك في الأمم السابقة على النصرانية، وكان يتم الصلب عند الرومان قصاصا للعبيد، ولمن يرتكب أقبح الجرائم، وكثيرا ماكان يسبق الصلب تعذيب الضحية بالجلد، و من ينفذ عليه الحكم يحمل صليبه، إلى مكان صلبه، راجع قاموس الكتاب المقدس: صـ ٥٤٥ وما بعدها.

هذه هي نصوص حادثة الصلب في الأناجيل الأربعة، ولم أذكر كل النصوص الواردة في أحداث ما قبل الصلب وبعده خشية الإطالة.

وخلاصة قصة الصلب باختصار كما وردت في النصوص السابقة، وفي تفاسير الأناجيل والمؤلفات المسيحية، أن اليهود كانوا يحسدون المسيح لما أتى به من معجزات تتعارض مع دينهم المحرف، فحاولوا أن يقتلوه، لأنه كان دائم الكشف عن خداع كهنة اليهود، فأعدوا خطة لقتله، فذهبوا إلى الحاكم الروماني بيلاطس، وقالوا له إن عيسى يدعي أنه ابن الله، وأنه يساوي الأب، وأنه ملك اليهود، وأنه يمنع أن تعطى الجزية لقيصر، وأنه يستطيع أن يهدم الهيكل ويبنيه في ثلاثة أيام، وأنه ينتهك حرمة يوم السبت[1]، ولذلك أرسل الحاكم الروماني قوة للقبض علي المسيح ــ عليه السلام ــ من الجنود[2]، وكان اليهود اتفقوا مع يهوذا الاسخريوطي أحد تلاميذ المسيح أن يعطي للجنود علامة بها يعرفون المسيح، قائلا لهم الذي أُقبله هوهو فأمسكوه، ودخل يهوذا على يسوع وقال له: السلام عليك يا معلم، وقبله، فقال له يسوع لماذا جئت؟ حينئذ ألقوا أيديهم على يسوع وأمسكوه، ولم يكن في قلبهم رحمة، بل كانوا عطاشا للثأر من ذلك الحمل الوديع الهادي، وبهذا أنهى يهوذا

---

1 ـ اليهود يقدسون يوم السبت لأن الله قدسه، ويجعلونه راحة لهم وللرب كما يزعمون، وكانت الأرض تسبت في العام السابع، أي تستريح، فالسبت إذن يرمز للراحة، وجاء المسيح وكان يأتي بالمعجزات يوم السبت، وكان يريد أن يكون يوم السبت يوم خدمة وعمل الرحمة، وتدريجيا حل يوم الأحد مكان السبت، وبهذا كسر المسيح هذا المبدأ الذي كان عند اليهود، راجع كتاب الكهنوت للبابا شنودة الثالث، وصية حفظ السبت حاليًا، وقاموس الكتاب المقدس، ٤٥٣ ومابعدها.

2 ـ راجع من هو المصلوب: د. فريز صموئيل، صـ١٤١ ومابعدها، مطبعة أتوبرنت، ١٩٩٧م.

مهمته، وقبل أن يسلم سيده ومعلمه للجند، وخانه مقابل ثلاثين من الفضة[1].

ثم انقض الجند على المسيح وقبضوا عليه وأوثقوه بالأغلال، وقادوه كحمل صامت أمام جازيه لم يفتح فاه، وربطوه بحبل وجروه كالذبيحة خلفهم، ومضوا به إلى (حنان) رئيس الكهنة المتقاعد حمى قيافا، ومَثُل الرب ــ يسوع ــ أمامه للمحاكمة الأولى، وحضر شهود زور كثيرون، شهد منهم اثنان وقالا: إن هذا قال: إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه، عندئذ انفعل رئيس الكهنة ومزق ثوب المسيح، ثم سأل رئيس الكهنة يسوع سؤالا ثانيا، أنت المسيح ابن الله المبارك؟ فأجابه المسيح قائلا: أنت قلت أني أنا هو، وأنا أقول لكم إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالسا عن يمين القدرة وآتيا سحب السماء، فانفعل رئيس الكهنة، وشق ثيابه مرة ثانية، وقال:للكهنة والمجمع كله ها قد سمعتم الآن التجديف[2]، فأجابوه أنه يجب أن يموت، فأوثقوه، وسيق في شوارع المدينة إلى رؤساء الكهنة بهدف الهوان والاحتقار، والشتم والاستهزاء، فمنهم من كان يلطمه، ويقول له تنبأ أيها المسيح من هو الذي لطمك الآن، يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء به والسخرية منه، وكان الخدام يلطمونه، ومنهم من كان يرفسه برجله، وبصقوا على وجهه، وكانوا يستهزئون به وهم يجلدونه، ثم حوكم

---

1 - راجع ذبيحة الرب يوم الجمعة العظيمة: القس أنسطاسي شفيق، كاهن كنيسة مار جرجس، صـ ٧١ وما بعدها، شركة برج العرب للطباعة سنة ٢٠٠٢م.

2 - معنى التجديف أي الخداع ، ومعنى أن المسيح مجدف أي مخادع، لأنه كيف يمكن لمجرم مصلوبٍ أن يدعي بأنه المسيا، وقد شهد الكتاب المقدس أنه ملعون من علق على خشبة، لهذا كان اليهود يتطلعون إلى يسوع على أنه مخادع، وإلى هذه الحركة الجديدة إنها تجديف على الله وعلي ناموسه وهيكله، بل وعلى اليهودية، وقيل التجديف بمعنى الكلام الغير لائق في شأن الله وصفاته، راجع قاموس الكتاب المقدس: صـ ٢٥٣.

محاكمة ثانية، وعرضوه على بيلاطس بعد ما حاكموه مرتين ولم يوافق بيلاطس على موته، وفي المرة الثالثة: وافق بيلاطس على موته وصلبه خوفا على منصبه، لأن اليهود هددوه بأنهم سيتهمونه بخيانة قيصر[1]، وبعد أن حكموا عليه بالموت والصلب في قصر الوالي، أخذه الجنود وخلعوا ملابسه، وألبسوه رداء أحمرا، ووضعوا على رأسه إكليلا من الشوك، وكانوا يستهزئون منه، ويقولون له السلام عليك يا ملك اليهود، ثم وضعوه على الصليب المعد له، ثم شدوا على يديه، ودقوا في كل منهما مسمارا غليظا بمطرقتهم، وكأن المسيح قُد من صخر لايشعر ولايحس، فراح المسماران يخترقان الجلد واللحم والعروق والأعصاب والعظام حتى نفدا في عارضتي الصليب، ثم وضعوا إحدى قدميه على الأخرى وبمسمار أطول من المسمارين السابقين سمروهما معا، ثم تركوه على الصليب تحت حرارة الشمس اللافحة حتى يبست شقفة قوته، ولصق لسانه بحنكه، واستبد به العطش حتى مات[2]، وبعد ذلك جاء يوسف أحد تلاميذه وطلب من بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأخذه وكفنه، ووضعه في القبر الذي استمر فيه ثلاثة أيام، ثم قام من بين الموتى، وصعد إلى السماء ليجلس عن يمين أبيه على العرش ليحاسب الخلق يوم القيامة[3] وهذه صورة المصلوب كما يمثل لها كُتاب اللاهوت المسيحي:

---

1 ـ المرجع السابق صـ ٨٠ وما بعدها، ويسوع المصلوب: القس منسي يوحنا٢٤ ، وما بعدها، ط، مكتبة المحبة شبرا مصر القاهرة، د.ت، وانظر كفارة المسيح صـ ١٤٨ ومابعدها.

2 ـ المرجع السابق نفس الصفحات.

3 ـ راجع ذبيحة الرب يوم الجمعة العظيمة: القس أنسطاسي شفيق، صـ ٥١٨ وما بعدها.

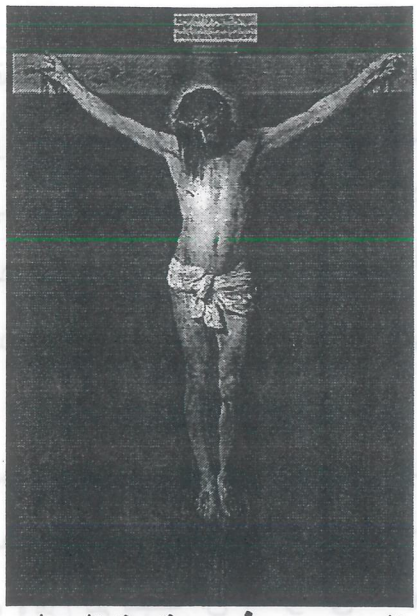

مناقشة اللاهوت المسيحى فى عقيدة الصلب وموقف الإسلام منها

قصة الصلب ــ كما روتها الأناجيل الأربعة والمؤلفات المسيحية ــ جاءت بروايات مختلفة ومتناقضة، في سرد الأحداث التي وقعت في الصلب، وقبله وبعده، ولو كانت هذه الأناجيل وحيا من عند الله ــ تعالى ــ كما يدعي النصارى؛ لما اختلفت روايات الأناجيل فيها، خاصة أن هذه العقيدة تمثل أصل الدين عندهم، ولولا الصلب ما تجسد المسيح، ولا يسع العاقل إلاّ أن يرفض تلك الروايات المكذوبة والمتناقضة، ويحكم ببطلانها جميعاً لعدم إمكان تمييز الصادق من الكاذب منها، ولو كانت هذه العقيدة لها أساس من الصحة، لأخبر بها المسيح ــ عليه السلام ــ ولكان اهتمام تلاميذه بتدوينها متساويا ومتقاربا في تلك الأناجيل، لكن التناقض والتضاد الوارد في حادثة الصلب يسقط قيمة الاستدلال بها، وبالتالي تسقط الفكرة من أساسها.

لقد قامت عقيدة الفداء في اللاهوت المسيحي على أساس من وراثة الخطيئة الأولى والفداء البدلي، ولما كان كل منهما باطلا، فقد بطلت عقيدة الصلب، إذ أن الربط بين الخطيئة والفداء ومن ثم الصلب من أقوال بولس، الذي أتي بهذه الأفكار من الأديان الوثنية القديمة، ومع هذا سوف أناقش هذه العقيدة باختصار كما وردت في اللاهوت المسيحي حتى يتبين فسادها.

أولا: إن المصدر الأساسي لعقيدة الصلب هو الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا، ويرى أحمد ديدات أن هذه الأناجيل وقع فيها التحريف والتبديل، ومن ثم يجب أن ينظر في الشهود الأربعة ــ كتاب الأناجيل ــ الذين يشهدون على وقوع الصلب للمسيح، وهنا يسجل ديدات أول ملاحظات المسلمين على الشهود، وهي أن اثنين من الشهود الأربعة لم يروا المسيح، ولم يكونوا من تلاميذه، وهما مرقس ولوقا، فكيف نأخذ بشهادتهما؟

والملاحظة الثانية: أن شهود الإثبات جميعا لم يحضروا الواقعة التي يشهدون فيها، كما قال مرقس: "فتركه الجميع وهربوا"مرقس١٤: ٥٠ ــ أي جميع التلاميذ ــ ولم يحضر أحد من كاتبي الأناجيل حادثة الصلب والقتل كما هو ظاهر في الأناجيل، فخبرهم إذاً لم يكن عن أمر محسوس ومشاهد، ومثل هذه القضية لو عرضت على محكمة في أية دولة متحضرة لسارعت إلي رد هؤلاء الشهود خلال دقيقتين.

ثم هذه الشهادة مسجلة على أكثر من خمسمائة نسخة مخطوطة، ولا يوجد منها مخطوطتان متطابقتان، وحتى لو تطابقت جميعها فلا

يوجد نسخة واحدة منها بخط مؤلفها، وإن نسبت إليه[1]، مما يؤدي إلى عدم الثقة بما جاء فيها.

ومما يؤكد عدم الثقة بهذه الأناجيل، أن مترجم إنجيل متى هو الذي أسس إخبار المسيح لتلاميذه عن صلب نفسه تصريحا، إذ يقول: "ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه، أنه بعد يومين يكون الفِصْح[2]، وابن الإنسان يسلم ليصلب" متى:، ٢٦: ١، وهذا النص انفرد به مترجم إنجيل متى فهو من اختزاعه، وهذا المترجم قد صرح علماء النصارى في كتبهم بأنه مجهول الحال عندهم، حتى إنهم اختلفوا في اسمه، ويكفي لرده وتكذيبه أن يوحنا لم يذكر في إنجيله الأكاذيب التي انفرد بها، وكذلك مرقس ولوقا، مع كثرة تتبعهم لروايته، ويستحيل أن تكون عقيدة مثل الصلب التي هي أصل الدين في اللاهوت المسيحي لم يذكرها إلا إنجيل متى، ولو كان لفظ الصلب الذي صرح به المسيح موجودا في الأصل الصحيح لمتى؛ لذكرته الأناجيل الثلاثة الأخرى، فدل ذلك على أنه من افتراء المترجم.

وقد تناقضت الأناجيل الثلاثة مع نص مترجم متى السابق، ففي لوقا باختصار أن المسيح يسلم إلى الأمم، ويتفل عليه، ويجلدونه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم، فلم يفهموا من ذلك شيئا، ١٨ :٣٢، ومثله في مرقس،٩ :٣٢، ووافقهما يوحنا، و في نص مترجم متى" تعلمون أنه بعد يومين" وهذا تناقض صريح، إذ أنه قال: "تعلمون أنه

---

1 - راجع مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء: أحمد ديدات، صـ١٨ وما بعدها.

2 - الفِصْح هو أول الأعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضا فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة، ويعرف بعيد الفطير، ويبدأ العيد مساء الرابع عشر من شهر أبيب، ويذبح فيه خروف أوجدي عند غروب الشمس، ويشوى صحيحا، ويؤكل مع الفطير، وأعشاب مرة، وكان الدم المسفوك يشير إلى التكفير، راجع قاموس الكتاب المقدس: صـ٦٧٨ وما بعدها.

الخ" وفي الأناجيل الثلاثة قال: "فلم يفهموا من ذلك شيئا" فإن قلت: يمكن حمل كلامه على الاستفهام بمعنى هل تعلمون الخ ويرتفع التناقض المذكور.

قلت: إن الاستفهام هنا غير مراد، بل هو إخبار عن علمهم، فلا شك أن بين نص مترجم متى والأناجيل الثلاثة نفي وإثبات، وهذا تناقض يمتنع صدوره عن الوحي الإلهي، والحق أن إنكار التلاميذ على مريم حين أخبرتهم بقيامه، هو الصحيح، لأن المسيح لم يخبرهم أنه سيصلب ويقوم، لأنه يعلم أنه لا يصلب، فهل يجوز أن يكذب عليهم؟

فلفظ الصلب لم يأت به مترجم متى إلا ليضل به عباد الله[1].

ثانيا: في مقدمة الصلب تناقضت الأناجيل في حادثة مسح جسد المسيح بالطيب، فقد اختلفت الأناجيل في مكانها وزمانها، وفي شخصية المرأة التي قامت بدهن المسيح بالطيب.

فمكان الحادثة عند متى و مرقس في بيت سمعان الأبرص، وعند لوقا في بيت فيرسي، وعند يوحنا في بيت الأخوة لعاذر ومريم و مرثا.

وشخصية المرأة التي دهنت المسيح بالطيب مجهولة عند مرقس ومتى، وخاطئة عند لوقا، وامرأة صديقة هي مريم أخت لعاذر عند يوحنا، والمرأة التي دهنت في مرقس ومتى دهنت رأس المسيح بالطيب، وفي لوقا ويوحنا دهنت رجليه.

وفي زمان الحادثة كان مسح جسد المسيح بالطيب قبل الفصح وأيام الفطير بيومين عند مرقس، وقبل الفصح بستة أيام عند يوحنا[2].

---

1 - راجع الفارق بين الخالق والمخلوق : عبدالرحمن باجه جي زادة، صـ ٣٣٢ وما بعدها.

2 - المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب، صـ١٢٩، مكتبة وهبة، ط: الثانية، ١٩٨٨م.

ثالثا: تناقضت الأناجيل حول موعد وتحضير العشاء الأخير الذي حضره المسيح مع تلاميذه، فقد اختلف متىَ عن مرقص في قضة الإعداد للعشاء، إذ يجعل التلاميذ جميعا يشتركون في هذا الإعداد، بينما كان العدد عند مرقس عشرة.

واختلفت الأناجيل في موعد العشاء فقال يوحنا في إنجيله أن العشاء الأخير كان قبل عيد الفصح، بينما يُجمع كل من متى و مرقس ولوقا أن العشاء الأخير كان يوم عيد الفصح.

" إن اختلاف الأناجيل في توقيت العشاء الأخير ترتب عليه اختلافهم في نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب، آلا وهي تحديد يوم الصلب، فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا، لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس، ثم كان القبض بعد ذلك بقليل في مساء الخميس ذاته، وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة، أما الأخذ برواية يوحنا، فإنه يعني أن القبض عليه كان مساء الأربعاء، وأن الصلب حدث يوم الخميس.

فالمسألة إذا فيها شك من أن الصلب حدث يوم الخميس أو يوم الجمعة"[1]، وإذا تطرق إليها الشك سقط بها الاستدلال، لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، سقط به الاستدلال.

رابعا:اختلفت الأناجيل في حادثة القبض على المسيح، فإنجيل متَّى ومرقص ورد فيهما: أن العلامة بين يهوذا الاسخريوطي وبينَ اليهود الذين جاؤوا للقبض على المسيح، هي أن من يقبله يهوذا فهو المسيح، وروى لوقا أن يهوذا كان على وشك أن يقبله، بينما لا

---

1 ـ المرجع السابق صـ ١٣٣ وما بعدها.

يعرف يوحنا شيئا عن القبلة، ويذكر كل من مرقس ومتى أن تحية وكلاما حدث بين يهوذا والمسيح، وصمت لوقا عن تلك التحية، بينما لم يذكر يوحنا شيئا عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة التي جاءت للقبض عن المسيح في البستان[1].

وفي حادثة القبض على المسيح يوجد ثلاث قضايا أساسية لابد من الوقوف عندها هي:

١ــ أن القبلة كانت العلامة الوحيدة لكي يعرف الجند شخصية المسيح عند مرقس ومتى ولوقا، بينما تم ذلك بعد أن أظهر المسيح ذاته لهم بطريقة تخبر عن التحدي والثبات الذي يتحدى به المجاهدون من أصحاب العقائد والرسالات، إذ خرج إليهم المسيح كما ذكر يوحنا، وسألهم عمن يطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري فقال: يسوع لهم: أنا هو، يوحنا ١٨ : ٥، فهل الجند عرف المسيح بقبلة يهوذا، أم بتحدي المسيح وقوله لهم أنا هو؟

٢ــ أن حادثا غير عادي وقع في تلك اللحظة مما أذهل أفراد القوة ــ الجند ــ لأنه حين قال: لهم أنا هو رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض مغشيا عليهم، أليس في هذا خذلان لأعداء الله، ووقاية للمسيح من أن يمسوه بسوء، ولا يبعد أنهم لما سقطوا مغشيا عليهم، ارتفع المسيح إلى ربه معززا، أو أنه تنحى عنهم في تلك اللحظة، ثم صعد كما قال تعالى:{بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}النساء: ١٥٨، فوقع منهم ما وقع على الشبه.

---

1 ـ نفس المرجع صـ ١٤٧.

٣ــ إن التلاميذ كما ورد في الأناجيل لم يشكو في المسيح ولا لحظة واحدة من تلك الليلة التي حدث فيها القبض على المسيح.

ولما كانت قصة المسيح بكل تفاصيلها تُردُ دائما إلى تنبؤات العهد القديم، خاصة سفر المزامير، فإن المزمور ٩١ الذي يُستشهد به كثيرا يقول: "لأنك قلت يارب ملجأي، جعلت العلى مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ....أرفعه لأنه عرف أسمى، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي" ٩ ــ ١٦،

أليس من حق القائل أن يقول: إن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها في تلك اللحظة التي كادت أن تزيغ فيها قلوب المؤمنين، بعد أن رأى المسيح وتلاميذه سلطان الظلمة على وشك أن يبتلعهم[1].

خامسا: اختلفت الأناجيل في الذهاب به إلى رئيس الكهنة، فذكر يوحنا: أن اليهود لما قبضوا على المسيح ساقوه إلى (حنان) الذي كان حماً لرئيس الكهنة قيافا، أما الأناجيل الأخرى فلم تذكر ذلك، بل ذكرت أنهم ذهبوا به مباشرة إلى قيافا رئيس كهنة اليهود.

واختلفت الأناجيل في محاكمة المسيح في مجمع اليهود، إذ يجعلها لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها، فيقول: "ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن

---

1 - المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب، صـ١٤٨ ومابعدها. والفارق بين الخالق والمخلوق : عبدالرحمن باجه جي زادة، صـ ٤٧٤.

كنت أنت المسيح فقل لنا؟ فقال لهم إن قلت لا تصدقون"لوقا٢٢: ٦٦ ـ٦٧ .

بينما جعل مرقس ومتى ويوحنا هذه المحاكمة في ليلة القبض علي المسيح، فيقول مرقس: "مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة" مرقس ١٤: ٥٣، ومثله متى ٢٦: ٥٧، ويوحنا "فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة، والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح ١٨: ٣، وقوله بمشاعل ومصابيح يؤكد أنها كانت في الليل، فأي الأناجيل نصدق من قال إن المحاكمة في النهار أم من قال في الليل؟

سادسا: اختلفت الأناجيل في إنكار بطرس للمسيح، فذكر مرقس أن بطرس تبع المسيح من بعيد ليرى محاكمته، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين إذ يقول: "قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات، مرقس١٤: ٧٢، وذكر متى ولوقا ويوحنا صياح الديك مَرة واحدة، يقول متى:" فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات" وذكر لوقا مثله،٢٢: ٦١، ويوحنا ١٨: ٢٧، فالثلاثة ذكروا صياحاً واحداً فقط، خلافاً لما زعمه مرقس، فقد ذكر صياحين للديك.

كما اختلفت الأناجيل في الجارية التي تعرفت على بطرس، وفي تحديد المكان الذي تعرفت عليه فيه، فقد ذكر الإنجيليون الثلاثة لوقا ومتى ومرقس، أنه كان جالساً في ساحة في وسط الدار عند النار يستدفئ، يقول لوقا: "ولما أضرموا ناراً في وسط الدار، وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم، فرأته جارية جالساً عند النار، فتفرست فيه، وقالت: وهذا كان معه" لوقا٢٢: ٥٥-٥٦ ومتى٢٦: ٦٩، ومرقس ١٤: ٦٦،

وخالفهم يوحنا الذي أخبر أن الجارية تعرفت عليه عند البوابة خارج الدار، وهذه الجارية مسؤولة عن البوابة، وقد صرح بذلك يوحنا حين أخبر أن تلميذاً من تلاميذ المسيح توسط لبطرس عند رئيس الكهنة ليدخله إلى الدار، فأدخل بطرس، فقالت الجاريةُ البوابةُ لبطرس: ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟ يوحنا ١٨: ١٧، إذاً اكتشف أمر بطرس عند البوابة، خلافاً لما ذكره الإنجيليون الثلاثة الذين أخبرونا بأنه كان جالساً عند النار في الساحة التي في وسط الدار.كما اختلفوا في من تعرف على بطرس في المرة الثانية ؟

وأما المرة الثانية، فقد تعرفت عليه حسب مرقس نفس الجارية التي تعرفت عليه في المرة الأولى يقول: "فرأته الجارية أيضاً، وابتدأت تقول للحاضرين: إن هذا منهم" مرقس ١٤: ٦٩، بينما ذكر متى أن الذي تعرف عليه جارية أخرى غير الأولى "ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري" متى ٢٦: ٧١ ، ويخالفهما لوقا الذي ذكر أن الذي تعرف عليه هذه المرة رجل من الحضور وليس جارية، فيقول: "وبعد قليل رآه آخر وقال: وأنت منهم، فقال بطرس: يا إنسان، لست أنا" لوقا ٢٢: ٥٨، وذكر يوحنا أن التعرف عليه كان من الواقفين مع رئيس الكهنة يوحنا ١٨: ٢٥.

ويعترف بهذا التضارب بين الروايات السابقة الأب متى المسكين، فيقول:"أقوال القديس لوقا اختلفت عن أقوال القديس مرقس في المضمون وأنواع الأفراد الذين تصدوا لبطرس وأسباب كل مرة"[1].

---

1 - راجع، المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب، صـ١٥٤ وما بعدها، وهل افتدانا المسيح على الصليب: د منقذ محمود السقار، صـ ٢١.

سابعا: اختلفت الأناجيل في حامل الصليب فذكر متى ومرقس ولوقا أن الذي حمل الصلب هو سمعان القيرواني، يقول متى "وفيما هم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه، ومثله مرقس ١٥: ٢٠ ــ٢٢، ولوقا ٢٣: ٢٦، بينما ذكر يوحنا أن المسيح هو الذي كان حاملاً لصليبه، ولم يذكر شيئا عن سمعان القيرواني "فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له: الجمجمة" يوحنا ١٩: ١٧.

كما اختلفت الأناجيل عن موقف اللصين المصلوبين بجوار المسيح واستهزائهما به، فذكر متى "وبذلك أيضاً كان اللصّان اللذان صلبا معه يعيّرانه" متى ٢٧: ٤٤ ، ومثله في مرقس ١٥: ٣٢، بينما ذكر لوقا بأن أحدهما استهزء به، وانتهره الآخر، ولم يوافقه في استهزائه وسخريته بالمسيح، يقول لوقا:"وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر، وانتهره قائلاً: أولا تخاف الله .. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس" لوقا ٢٣: ٣٩ ــ ٤٣.

واختلفت الأناجيل في وقت الصلب يقول مرقس: "وكانت الساعة الثالثة فصلبوه" ١٥: ٢٥، لكن يوحنا يقول إن ذلك حدث بعد الساعة السادسة "وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة فقال لليهود ذا ملككم، فصرخوا خذه خذه اصلبه،.... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب" ١٩: ١٤ ــ ١٦، وقال لوقا: "وكان نحو الساعة السادسة، فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة.... ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال يا أبتاه في يدك أستودع روحي" ٢٣: ٤٤ــ ٤٦.

ورواية لوقا عن المسيح أنه في آخر كلامه "قال يا أبتاه في يدك أستودع روحي"، تختلف مع رواية متى ومرقس من أن آخر كلام المصلوب "إلهي إلهي لماذا تركتني" وهذا الاختلاف والتناقض الوارد بين الأناجيل من أجلى البراهين على أن المصلوب ليس عيسى عليه السلام، وإنما شبه لهم[1].

ثامنا: اختلفت الأناجيل في شهود الصلب على النحو التالي:

فقال متى: "وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي" ٢٧ :٥٦. وقال مرقس "وَكَانَتْ أَيْضاً نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصِّغِيرِ وَيُوسِي وَسَالُومَة15 : ٤٠.

وقال لوقا: "وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ"٢٣: ٥٥.

وقال يوحنا: وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ" ١٩: ٢٥.

ويقول جون فنتون: " لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع .... إن مرقس ومتى ولوقا يخبروننا أن شهود الصلب كن نساءً تبعن يسوع من الجليل إلى أورشليم، وقد رأين دفنه واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد، وقابلن يسوع بعد قيامته، ورغم أن متى ذكر في ١٣: ٥٥، أن اثنين من إخوة يسوع كان يسميان يعقوب ويوسي، فمن الصعب جدا أن يكون قد

---

1 - راجع، المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب، صـ١٦٦، ١٦٨ ومابعدها، والفارق بين الخالق والمخلوق : عبدالرحمن باجه جي زادة، صـ ٤٤١ وما بعدها، وصـ٤٥٣..

عنى مريم أم يسوع عند الكلام عن مريم الأخرى(غير المجدلية والتي قال عنها: أم يعقوب ويوسي)"[1].

مما سبق يتضح لنا أن شهود حادثة الصلب التي هي أصل الدين المسيحي، إنما كن نساءً، شاهدن ما شاهدن من بعيد، ثم قمن بعد ذلك بالرواية والتبليغ.

تاسعا: اختلفت الأناجيل في موت يهوذا الخائن الذي أرشد اليهود على المسيح فذكر مترجم إنجيل متى أن يهوذا الاسخريوطي خنق نفسه إذ يقول: " فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه" ٢٧: ٥، بينما ذكر لوقا أن يهوذا سقط على وجهه وإنسكبت أحشاؤه،" فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه" سفر أعمال الرسل، الإصحاح الأول: ١٨ ، وما ذكره متى يتناقض تماما مع ماذكره لوقا[2].

وبعد هذا قليل من كثير من التناقضات والمتضادات والاختلافات المروية في الأناجيل في حادثة الصلب وقبله وبعده، وأحيل القارئ إلى المراجع التي أثبتت التناقضات الواردة في حادثة الصلب بالتفصيل[3].

وقد أكد وقوع التناقض والتضارب في الأناجيل (ول ديورانت) وخاصة عند حديثه لمسألة الصلب المزعومة، حيث قال: "وملاك القول أن ثمة تناقضاً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تاريخية مشكوك في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة

---

1 - راجع، المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب صـ ١٧٥.

2 - المرجع السابق صـ ١٨١ ومابعدها.

3 - راجع على سبيل المثال، المسيح في مصادر العقائد المسيحية: م.أحمد عبد الوهاب، صـ١٢٧ - ١٨٩، والفارق بين الخالق والمخلوق: عبدالرحمن باجه جي زادة، صـ ٣٣٢ - ٥٣٠، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: القرافي،صـ ١٥٥ - ٣٠٥.

والشبهة بما يروي عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة، ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة، أو طقس متأخر من طقوسها ... ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح"[1] فهذه شهادة عالم من علماء اللاهوت المسيحي، واعتراف منه بوقوع التحريف بالزيادة والنقصان في أناجيلهم.

إن عقيدة الفداء والصلب سبق أن ذكرت أنها من اختراع بولس صاحب الرسائل الملفقة في العهد الجديد، وقد استفاد بها من الأمم الوثنية، ثم جعلها الأساس في النصرانية، وروج لها، علما بأن رسائله لم تكتب إلا بعد المسيح بأكثر من عشرين عاما[2]، بل عزم بولس على ألا يعرف عن النصرانية شيئا غير صلب المسيح إذ يقول: " لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا" كورنثوس الأولى ٢: ٢ ، لقد ربط بولس بين الخطيئة الأولى، وتجسد المسيح من أجل الفداء، ومن ثم الصلب، وهذا الأمر لا أساس له في الأناجيل، وقد ذكر القديس توماس الاكويني شكوكه في صحة روايات الصلب حيث توجد روايات مختلفة، فيزعم البعض أن ابن الله كان يتجسد حتى ولو لم يخطئ آدم، ويرى البعض الآخر أنه تجسد وصلب كدواء لخطيئة آدم، ولولا الخطيئة لما كان التجسد[3].

---

1 ـ قصة الحضارة: جـ١١صـ٢١٠، بتصرف يسير.
2 ـ الميزان في مقارنة الأديان: محمد عزت الطهطاوي، صـ٢٢٣.
3 ـ راجع المسيح إنسان أم إله: د. محمد مجدي مرجان، صـ ١٣٤ ومابعدها.

وإذاً فعقيدة صلب المسيح ليست وحيا من عند الله، وليست من تعاليم المسيح، وإنما أنشأها بولس من عند نفسه ليفسد على الناس رسالة الله التي تلقاها المسيح عليه السلام، ويؤكد عبدالرحمن باجه أن عقيدة الصلب ليست من تعاليم المسيح ولا مروية عنه، إذ يقول: "إن روايات الصلب لم تكن مروية عن المسيح لأنه حينئذ كان أسيرا بيد أعاديه، فلذلك لا يصح قولهم أنها من الأناجيل، ويا ليت هذه الأخبار تشبه التواريخ، بل هي خبيصة أقاويل محكية عن جهلة أساقفتكم المختلفة، بنصوص أناجيلكم الأربعة، كما قال أفاضلكم إنها صادرة من حاطب ليل"[1] والتدقيق في الروايات الواردة في الأناجيل وتناقضها بعضها مع البعض الآخر يؤيد نفي الصلب والقتل للمسيح عليه السلام، ووقوع هؤلاء الرواة في الكذب والوهم والغلط.

إن قصة صلب المسيح كحادثة وقعت له ليست أمراً مجمعاً عليه عند جميع فرق النصارى، فقد ورد في تاريخ المؤرخ البروتستانتي - الذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية - أن كثيراً من فرق النصارى كانت ترفض وقوع الصلب رفضاً كليّاً؛ لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية[2].

كما وجد من بين النصارى من يقول إن المسيح لم يمت على الصليب وإنما أنزل حيا، وهذا ما أكده الفيلسوف الألماني فنتوريني إذ

---

1 - راجع الفارق بين الخالق والمخلوق :صـ ٤٣٥.
2 - المرجع السابق صـ ٤٦٤.

يقول: أن "يسوع قد أغمى عليه فقط، ثم أفاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت فيه الصخرة"[1].

ويقول إدوارد سيوس الفرنسي الشهير بمعارضة المسلمين: "ما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية، منهم الباسيليدون، كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقي شبهه على سيمون السيرناي تماما، وألقي شبه سيمون عليه، ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه ــ اليهود ــ ومنهم السيرنتيون، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى"[2] .

ويقول ملمن في كتابه تاريخ الديانة النصرانية: "إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس، أي إسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس، منتظرين حكم القتل عليهم، كما اعتقد بعض الطوائف النصرانية، وصدقهم القرآن"[3].

ومما يدل على أن المصلوب غير المسيح، وأن اليهود شبه لهم، إفراط ومغالاة الأناجيل الأربعة في روايات الصلب، من أن المصلوب قد غيرت هيئته، وشوهت صورته، وسيق ذليلا، وتوج من الشوك إكليلا، وألبس أرجوانا، وجذب وسحب ولطم، وبصق على وجهه، ونتفت لحيته، وصفع على قفاه، وجلد وأهين، وحملوه على خشبة الصليب، ومن كان حاله كهذا، كيف لا تتغير صورته؟ ولا يشتبه عليهم فيه[4].

---

1 ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب، صـ٢٧٤.
2 ـ الفارق بين الخالق والمخلوق :صـ ٤٦٥.
3 ـ نقلا عن الفارق بين الخالق والمخلوق :صـ ٤٣٥.
4 ـ المرجع السابق صـ ٤٧٣.

إن الإنسان ليعجب من أناس يصفون إلههم بهذه الأوصاف الذميمة، التي تلحق به كل ألوان الأذى والهوان، إنه إله في قمة العجز، إذ إنه عجز عن أن يحمى نفسه، أو أن يخلصها مما لحق بها من أذى، فكيف يخلص غيره؟ والمعلوم لدى الجميع أن فاقد الشيء لا يعطيه.

كما شهد بتخليص المسيح ــ عليه السلام ــ من الصلب أصح كتب الأناجيل في النصرانية على الإطلاق، وهو إنجيل برنابا حواري عيسى ــ عليه السلام ــ وهذا الإنجيل كان محرما قراءته من الكنيسة، وصودرت نسخه من كل مكان، لكن عثر الراهب (فرامنيو) على نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية، وعثر على نسخة أخرى من هذا الإنجيل باللغة الأسبانية في أوائل القرن الثامن الهجري، وأخيرا تم اكتشاف مخطوطات البحر الميت التي تؤكد صحة هذا الإنجيل[1] يقول برنابا في نفي صلب المسيح ورفعه إلى ربه في السماء: "ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفا، وكان الأحد عشر نياما، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد" إنجيل برنابا الإصحاح الخامس عشر بعد المائتين ١ ــ ٨.

كما أثبت برنابا أن الذي قتل وصلب هو يهوذا الخائن للمسيح، فقد ألقي الله تعالى عليه شبه المسيح، فقبض عليه، وهو الذي مات

1 - راجع عقيدتنا: أد. محمد ربيع، جـ٢ :صـ٤٣.

وصلب، وليس المسيح، إذ يقول: "ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياما، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبها بيسوع، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، وأما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا، أنت يا سيد هو معلمنا، أنسيتنا الآن، أما هو فقال متبسما، هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي: وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا؛ لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه" برنابا الفصل السادس عشر بعد المائتين ١ ـ ٩.

ومما سبق من أقوال علماء اللاهوت المسيحي يتضح بطلان القول بصلب المسيح، وإذا كانت حادثة صلب المسيح لم تقع كما أخبر القديس برنابا وغيره، وثبت أنها لا أساس لها في تعاليم المسيح، أوفي تعاليم تلاميذه الذين عاصروه، وتعلموا على يديه، فمن أين أتت هذه العقيدة إلى المسيحية؟

مصدر اللاهوت المسيحي في عقيدة الصلب

ذكرت فيما سبق أن بولس هو الذي ربط بين الخطيئة والفداء، ومن ثم الصلب، وأنه قد استفاد بعقيدة الفداء من الأديان الوثنية، وبما أن الصلب مترتب على الفداء فقد أصبح واضحا لنا أن بولس هو الذي جاء بفكرة الصلب من الأديان الوثنية القديمة، ولا يستبعد هذا عليه، إذ أنه كان في الأصل يهوديا من أعداء الدين الذي جاء به المسيح، كما أنه كان يحارب تلاميذه، فجاء بعقيدتي الفداء والصلب، وجعلهما أساس اللاهوت المسيحي ليفسد دين المسيح.

ومن الذين ردوا عقيدة الصلب إلى جذور وثنية، محمد طاهر التنير، ومنه نأخذ بعض صور الصلب في الأديان الوثنية القديمة، فضلا عما سبق في الفداء، لنرى مدى التشابه والتطابق بينها وبين الصلب عند النصارى.

ومن ذلك قول المسيوكوينيو: "يذكر الهنود موت (كرشنا) بأشكال متعددة، أهمها أنه مات معلقا على شجرة، سمر بها بضربة حربة" وتصوره كتبهم مصلوباً وعلى رأسه إكليل من الذهب.

وقال دوان: والمقصود من الشجرة خشبة الصليب، وأن السيد مور قد صور كرشنا مصلوبا، كما هو مصور في كتب الهنود، مثقوب اليدين والرجلين، ومعلق بقميصه قلب الإنسان"[1]

وقد صور جورجيوس الإله (أندرا) الذي يعبده أهالي النيبال الوثنيون القدماء على أنه ابن الإله، ويعتقدون أنه قد سفك دمه بالصلب، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم.

وقال دوان: "في جنوب الهند وتنجور وفي أيونديا يعبدون إلها صلب اسمه (بالي) ويعتقدون بأنه فشنو تجسد أي ظهر بالناسوت، ويصورونه مثقوب الجنب واليدين"[2].

وقال دوان:"إن تألم وموت أوزوريس هما السر العظيم في ديانة المصريين، وبعض آثار هذه العقيدة ظاهر في ديانات الأمم الأخرى، ويعدونه الصلاح الإلهي، وجالب الفكر الصالح، وكيفية ظهوره على الأرض، وموته وقيامه من بين الأموات، وأنه سيكون ديان الأموات في اليوم الآخر.

---

1 ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروني، صـ٧٥ وما بعدها.

2 ـ المرجع السابق صـ ٧٦ .

ويدعى (أتيس) الولد الوحيد المخلص، فقد كان يعبده الفريجيون وهم سكان أسيا الصغرى، ويمثلونه برجل مقيد على شجرة، وتحت رجليه أبولو الذي كان يعبده المليلتيون، فإنهم يقولون أنه مات بالجسد، وأنه حكيم، عمل العجائب، وقد قبض عليه جنود الكلدانيين وقتلوه وسمروه كي يزداد تألما، وأنه صلب لأجل خلاصهم [1].

وقالت السيدة jameson كان المليلتيون يمثلون الإله مصلوبا مقيد اليدين

والرجلين بحبل على خشبة، وتحت رجليه صورة حمل"[2].

وقد كانت أسطورة صلب القراسيوس الهائلة التي كتبها أسيوس، وقتله، وجلده وصلبه تمثل على مسارح أثينا في اليونان، قبل المسيح بخمسة قرون، وهذه الأسطورة تذكر إلههم وخالقهم وحامل أحزانهم وخطاياهم من أجل خلاصهم "وبسبب ذنوبهم جرح، وبداعي طغيانهم سحق وتحمل القصاص لنجاتهم، وبضربه وجلده شفوا، وأنه اضطهد وتألم وامتهن ولم يتململ، وصبره العظيم ظهر حينما كانت كهنة إله الشر تسمر يديه ورجليه بجبل قوقاس، وليس

له شبيه، أو مثيل إلا الكمال الذي أجراه وهو معلق، ويداه ممدودتان بشكل الصليب، خدمة للناس وحبا فيهم، وهذه الخدمة جلبت عليه هذا الصلب[3].

ومن كل ماسبق في عقيدة الصلب والفداء يتضح لنا مدى التشابه والتطابق بين عقيدة النصارى في الصلب وبين الأديان الوثنية القديمة، ومادام أن المسألة لا صلة لها بالوحي الإلهي، فبديهي أن يكون بولس قد

---

1 ـ نفس المرجع صـ ٧٩ .

2 ـ نفس المرجع صـ٧٩ .

3 ـ نفس المرجع صـ ٨٠.

استفاد بهذه العقيدة من الأديان الوثنية القديمة، ومن الضروري أن يستفيد المتأخر من المتقدم.

موقف الإسلام من عقيدة الصلب

عقيدة الصلب السابقة كما عرضها اللاهوت المسيحي لا ينفيها الإسلام جملة؛ لأنه ثبت بالتاريخ وقوع الصلب لشخص ما، وأكد الفكر الإسلامي أنه وقعت بالفعل حادثة الصلب، وما سبقها من أحداث كمحاولة القبض على المسيح، وأن الوالى الروماني بيلاطس لم يجد في المقبوض عليه ذنبا، أو علة توجب القبض عليه فأراد أن يطلقه، وأن المصلوب أقتيد إلى موضع الصلب، وصلب بجواره لصان، كل هذه الأحداث محل اتفاق بين المسلمين وبين النصارى، وإنما الخلاف بين أهل الدينين في المصلوب، فيرى النصارى أنه المسيح، ويرى المسلمون أنه غير المسيح، وبالقطع شبه لهم، لكن إذا كان المصلوب غير المسيح فمن هو؟

أفاد القديس برنابا وغيره من فرق النصارى أن المصلوب هو يهوذا الاسخريوطي الخائن، وأن لحظة الخلاص لعيسى عليه السلام — هي تلك اللحظة التي أراد الجنود القبض فيها على المسيح، فسقط الجنود على الأرض مغشيا عليهم، ووقعت المشاعل من أيديهم، ثم نهض الجنود من على الأرض، فوجدوا دليلهم يهوذا الاسخريوطي وحيدا في الساحة، وقد ألقى الله عليه شبه المسيح، فقبض عليه الجنود بدلا من المسيح، فالمصلوب إذا هو يهوذا الاسخريوطي، وليس المسيح كما يزعمون.

ومما يدعو إلى التأمل في لحظة القبض على المسيح، سقوط الجنود مغشيا عليهم على الأرض، ونسأل أنفسنا لماذا سقط الجنود على الأرض في هذه اللحظة؟ ومن الذي أسقطهم؟ وما الذي استفاده المسيح من سقوطهم إذا كانوا سيقبضون عليه بعدها، وبالتأمل نجد أنه في لحظة القبض على المسيح تدخلت عناية الله في حفظه ورفعه إلى السماء[1].

لقد أبطل القرآن الكريم عقيدة الصلب، التي أقام من أجلها النصارى الخطيئة الأولى، ومن ثم الفداء بالدم، وبين القرآن أن عقيدة الصلب من الأكاذيب التي ألصقها اليهود بالمسيح عليه السلام، وروج لها بولس والكنيسة من بعده، وهذا ما يتفق مع سؤال المسيح وتضرعه إلى الله أن يعبر عنه هذه الكأس، فقد استجاب الله له ورفعه إليه، وألقى شبهه على يهوذا الخائن، قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} النساء: ١٥٧ – ١٥٩.

والمعنى أنه تعالى بين أن هناك من ادعى أن من قتله من اليهود، ومن سلمه إليهم من النصارى، وكلهم في شك وحيرة وضلال، ولهذا قال: وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً، أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو؛ بل شاكين متوهمين، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ[2].

---

1 - راجع هل افتدانا المسيح صـ ١٢١.

2 - محاسن التأويل: تفسير القاسمي ،جـ٣/صـ ٤١٠، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط: أولى، ١٤١٨هـ.

ويؤكد المعنى السابق ويوضحه ما جاء في السنة النبوية، روي النسائي وأبو عبد الله المقدسي بسندهما "عن ابن عباس قال: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَفِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، يَعْنِي: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي، فَيُقْتَلُ مَكَانِي وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ ذَلِكَ الشَّابُّ، فَقَالَ: اجْلِسْ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى، وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النُّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[1] وذكر ابن كثير هذه الرواية وعقب عليها بقوله:"هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ورَوَاهُ النَّسَائي، وَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ

1- السنن الكبرى للنسائي: كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب، قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ" رقم الحديث ١١٥٢٧، جـ١٠/صـ ٣٠٠، وأخرجه أبو عبد الله المقدسي في الأحاديث المختارة: مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، جـ ١٠/ صـ ٣٧٧، تحقيق:أد.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، لبنان، ط: الثالثة،١٤٢٠هـ.

وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فيقتلَ مَكَانِي، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟[1].

وما سبق من آيات نفي الصلب ورفع عيسى وحديث ابن عباس؛ لا يتعارض مع قول الله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} آل عمران: ٥٥، وفي الآية إخبار من الله عز وجل لعيسى — عليه السلام — بنجاته من يد أعدائه، وليس المراد بالتوفي في الآية الموت المعهود، ذكر الخازن في تفسيره أن التوفي الوارد في الآية، فيه وجوه منها:

الأول: معناه أني قابضك ورافعك إلي من غير موت، من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاما، والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره.

الوجه الثاني: أن المراد بالتوفي النوم كقوله. {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} الزمر:٤٢، فجعل النوم وفاة، وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف، فمعنى الآية أني منيمك ورافعك إلى[2].

وقد دلت السنة على أن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء، وأنه سينزل آخر الزمان، روى البخاري بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

---

1 ـ تفسير القرآن العظيم:كثير، جـ٢/صـ ٤٤٩، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.

2 ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: جـ١/ صـ٢٥١.

لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"[1]

وظاهر هذا الحديث وما يشابهه من الأحاديث الصحيحة في شأن نزول عيسى، يفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله إليه بروحه وجسده.

وجمهور العلماء على أن عيسى رفع حيا من غير موت بجسده وروحه إلى السماء، والخصوصية له- عليه السلام- هي في رفعه بجسده، وبقاؤه فيها إلى الأمد المقدر له، ولا يصح أن يحمل التوفي على الإماتة؛ لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها، ورفعه إلى السماء جثة هامدة سخف من القول، وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجثث الموتى، وإن كان الرفع بالروح فقط، فأي مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة، فالحق أنه- عليه السلام- رفع إلى السماء حيا بجسده، وكما كان- عليه السلام- في مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة، كان في نهاية أمره آية ومعجزة باهرة، والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر، ومدارك العقول، وهي من متعلقات القدرة الإلهية، ومن الأدلة على صدق الرسل- عليهم الصلاة والسلام[2].

وإذا فعدم صلب المسيح ورفعه إلى السماء ثبت بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، و إجماع المسلمين، وأنه سينزل آخر الزمان بناء على

---

1 ـ صحيح البخاري: كتاب كِتَابُ البُيُوعِ، باب بَابُ قَتْلِ الخِنْزِيرِ، رقم الحديث ٢٢٢٢، جـ٣/صـ ٨٢.

2 ـ التفسير الوسيط: د. محمد السيد الطنطاوي جـ٢/صـ ١٢٢، دار نهضة مصر، ط: أولى، ١٩٩٧م.

تواتر الأحاديث في ذلك كما ذكر ابن كثير[1]، ولم يخالف في ذلك إلا اليهود والنصارى وأتباعهم من أهل البدع والأهواء، قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} النساء: ١٥٩، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حاكما بشريعة القرآن، وكما ارتفع المسيح عليه السلام إنسانا، سيعود إنسانا وليس إلهاً، ولا ابن إله، كما زعم النصارى، ونزوله عليه السلام من علامات الساعة الكبرى.

وأخيرا أختم البحث بهذه الأبيات:

أولا: لأبي العلاء المعري:

عجبا للمسيح بين النصارى .....وإلى أي والد نسبوه!

أسلموه إلى اليهود وقالوا: ..... إنهم بعد قتله صلبوه

فإن كان ما يقولون حقا ..... فسلوهم أين كان أبوه؟

فإن كان ساخطا بأذاهم .. .. فاعبدوهم لأنهم غلبوه![2]

ثانيا: من أحسن ما قيل فى ذلك، قول البوصيرى في قصيدته:

جاء المسيح من الإله رسولا .....فأبى أقل العالمين عقولا

أسمعتمو أن الإله لحاجة .....يتناول المشروب والمأكولا؟

وينام من تعب ويدعو ربه .. .. ويرومُ من حر الهجير مقيلا

ويمسه الألم الذي لم يستطع ....صرفاً له عنه ولا تحويلا

يا ليت شعري حين مات بزعمهم ....من كان بالتدبير عنه كفيلا

هل كان هذا الكون دبر نفسه ....من بعده أم آثر التعطيلا؟

---

1 ـ تفسير ابن كثير: جـ ٢/صـ ٤٥٤.

2 ـ وردت هذه الأبيات في اللزوميات: أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري، برواية مختلفة اختلاف يسير جـ٤ صـ ١٣٨ تحقيق: حسين نصار وآخرين ، ط: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

اجزوا اليهود بصلبه خيرا ولا ..... تجزوا (يهوذا) الآخذ البرطيلا
زعموا الإله فدى العبيد بنفسه ..... وأراه كان القاتل المقتولا
أيكون قوم في الجحيم ويصطفى ..... منهم كليما ربّنا، وخليلا
وإذا فرضتم أن عيسى ربكم. ... .أفلم يكن لفدائكم مبذولا؟
وأجلّ روحا قامت الموتى به ..... عن أن يرى بيد اليهود قتيلا
فدعوا حديث الصلب عنه ودونكم ....من كتبكم ما وافق التنزيلا
شهد الزبور بحفظه ونجاته ..... افتجعلون دليله مدخولا؟
أيكون من حفظ الإله مضيعا .....أومن أشيد بنصره مخذولا؟
أيجوز قول منزه لإلهه. ..... سبحان قاتل نفسه مقتولا؟
أو جلّ من جعل اليهود بزعمكم ..... شوك القتاد لرأسه إكليلا
ومضى لحبل صليبه مستسلما ....للموت مكتوف اليدين ذليلا
كم ذا أبكتكم ولم تستنكفوا .... أن تسمعوا التبكيت والتخجيلا
ضل النصارى في المسيح وأقسموا:.....لا يهتدون إلى الرشاد سبيلا
جعلوا الثلاثة واحدا ولو اهتدوا.....لم يجعلوا العدد الكثير قليلا[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[1] - ديوان الإمام البوصيري صـ١٣٨ ومابعدها.

الخاتمة و بها أهم نتائج البحث

خلصت الدراسة السابقة إلى النتائج التالية :

١ــ يعتقد النصارى بالخطيئة الأولى خطيئة آدم عليه السلام، وأن هذه الخطيئة كانت عن عمد بوسوسة من الشيطان له، وأنه لم يتب منها، ولذلك عوقب عليها عقوبات عديدة،من بينها، الخروج من الجنة، والموت بكل أنواعه، الجسدي والأدبي والروحي، بينما يرى الإسلام (في القرآن والسنة) أن آدم خلقه الله تعالى لاستخلاف الأرض، وأنه أخطأ نسيانا، والناسي لا ذنب عليه، وقد تاب إلى ربه، وقُبلت توبته، بدليل أن الله اجتباه وبعثه نبيا ورسولا.

٢ــ يعتقد النصارى أن خطيئة آدم عليه السلام إصابة في نفسه، وهي أشبه بالتركة التي يتركها الأب لأبنائه، لذلك لوثت خطيئته النوع الإنساني كله، بما في ذلك الرسل والأنبياء السابقين على عيسى عليه السلام، وأن جزاء هذه الخطيئة النار، بينما يرى الإسلام، أن هذا ظلم ينزه الحق عنه، وأن كل فرد من أفراد الإنسان مسؤول عن نفسه، ولا يتحمل أي فرد ذنب غيره، حتى ولو كان أباه أو أمه، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} عبس:٣٤، ٣٥، { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} الأنعام:١٦٤.

٣ــ أثبتت الدراسة التناقض الوارد في الأناجيل الأربعة بما ورد فيها من نصوص تثبت وراثة الذنب وأخرى تنفيها، وهذا دليل على أنها من وضع كتابها.

٤ــ ثبت من نصوص الأناجيل والمؤلفات المسيحية أن الله لا يستطيع العفو أو التوبة عمن أذنب، وهذا يلحق به العجز والقهر، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

٥ــ يعتقد النصارى أن الخطيئة الموروثة لا يكفرها توبة الإنسان، أو عمله الصالح من الصلاة والصيام الخ، لأن كل هذه الأعمال تقدم إلى الله بنفس ملوثة بالآثام.

٦ــ يعتقد النصارى أن الأطفال الذين لم يعمدوا مصيرهم نار جهنم لتلوثهم بالخطيئة.

٧ــ أن الخطايا الموروثة لا تكفر إلا بدم، ولا يصلح أن يكون الفداء دم حيوان، ولا يصلح أن يكون دم إنسان، لأن آدم وذريته ملوثون بالخطيئة، فلا يصلح واحد منهم للفداء، وأن الفداء لا يصلح إلا بدم المسيح، فهو الوحيد الذي لم يلوث بالخطيئة.

٨ــ لا يوجد نص في الأناجيل يربط بين الخطيئة والفداء، وإنما هذا الربط من عند بولس جاء به من عند نفسه متأثرا بالأديان الوثنية القديمة.

٩ــ يعتقد النصارى أن الغاية والهدف من نزول المسيح (الإله) وتجسده هو أن يصلب فداءً عن الخطايا الموروثة.

١٠ ــ الإيمان في النصرانية يكمن في الإيمان بفداء المسيح وصلبه كفارة للخطايا الموروثة، وأن جانب العمل(الشرائع) لا يكفي في حصول الإيمان.

١١ــ يعتقد النصارى أن المسيح مات وصلب على خشبة الصليب ثم دفن وقام من قبره بعد ثلاثة أيام، ثم صعد وجلس بجوار أبيه في السماء.

١٢ خلصت الدراسة أن بين الخطيئة والفداء والصلب تلازم بمعنى عدم الانفكاك، فالفداء لازم للخطيئة، والصلب لازم للفداء.

١٣ــ كل نصوص الأناجيل الواردة في الخطيئة والفداء والصلب، متناقضة ومتضاربة ومتباينة، وهذا من أجلى البراهين على أنها من وضع البشر.

١٤ــ قرر القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يصلب ولم يقتل، وإنما شبه لليهود والنصارى، وأن الله رفعه إليه، وهذا قد شهد به برنابا في إنجيله، والكثير من فرق النصارى وكتابهم.

١٥ــ حرف النصارى الدين الذي أنزل على ــ عيسى عليه السلام ــ وغيروا رسالته السهلة النقية المنزلة من الله تعالى التي يستوعبها عوام الناس فضلا عن خواصهم، إلى دين معقد متناقض، يتصادم مع العقل والفطرة، ومن أراد قبول هذا الدين والإيمان به، عليه أن يلغي عقله، ويوقن أنه لا يمكن أن يؤمن إذا أراد أن يفهم، وأنه كلما تعمق فيه، وحاول فهمه، كلما استغلق عليه، وذلك لأنه خليط مما أدخل فيها من إلهامات القساوسة، ومن الخرافات والأساطير الوثنية.

وأخيرا أوصي بالمزيد من دراسة العقائد النصرانية لفهمها ودحضها، والقيام بالرد على ما فيها من أباطيل، ومن أهم فوائد هذه الدراسة أنها تطلع الباحث على التناقض الوارد في الأناجيل والمؤلفات النصرانية، وهذا يزيد من إيمان الباحث بما جاء به سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذا الدين العظيم، وهو الإسلام.

وفي الختام أُهدي هذا البحث إلى كل متطلع للحقيقة، وإلى كل من يريد الهداية، وأخص بالذكر المسيح ــ عليه السلام ــ وأعلنها صراحة أنني مسلم أحب المسيح، فإن كل مسلم يجب عليه أن يؤمن بالمسيح نبيا ورسولا، ومبشرا بخاتم النبيين سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} الزخرف: ٥٩، وأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يتقبل منى هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهة الكريم.

ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث[1]

١ــ **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة:** أحمد ابن إدريس القرافي (ت٦٨٤) تحقيق د. بكر زكي، ط: مكتبة وهبة: ط، الثالثة، ٢٠٠٩م.

٢ــ **الأحاديث المختارة** مما لم يخرجه البخاري ومسلم: ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي (ت:٦٤٣هـ) تحقيق: أد. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣ــ **الاستذكار:**أبوعمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: سالم محمد عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى،١٤٢١ ــ ٢٠٠٠م.

٤ــ **إظهار الحق:** رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي (ت ١٣٠٨هـ ١٨٩١م) الهيئة العامة لإدارات البحوث، الرياض، السعودية، ط: الثانية، سنة،١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.

٥ــ **الإنجيل بحسب القديس متى:** دراسة وتفسير وشرح ، الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط: الأولى، سنة ١٩٩١م.

٦ــ **إنجيل برنابا:** ترجمة من الإنجليزية د.خليل سعادة، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٥٨م.

٧ــ **الإنجيل والصليب:** الأب عبد الأحد داود، ط: القاهرة سنة ١٣٥١ هـ.

٨ــ **إيماننا المسيحي صادق وأكيد:** للقس بيشوي حلمي، مطبعة دار نوبار بالقاهرة، ط: الرابعة، ٢٠٠٦ م .

---

1 - روعي الترتيب الهجائي واستبعاد أداة التعريف.

٩ــ **بحر العلوم تفسير**: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) المكتبة الشاملة د.ت.

١٠ــ **تاريخ البطاركة**: ساويرس ابن المقفع، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، ط: مكتبة مدبولي، ط: الأولي، سنة ٢٠٠٦م.

١١ــ **تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الكاثوليكية**: برتراندرسل ، ترجمة زكي نجيب محمود، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢ م.

١٢ــ **تفسير القرآن الحكيم** (تفسير المنار)،محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ) نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٣ــ **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق سامي سلامة، نشر: دار طيبة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٤ــ **التفسير الميسر**: لنخبة من أساتذة التفسير، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط: الثانية،١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

١٥ــ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**: : محمد سيد طنطاوي، نشر: دار نهضة مصر الفجالة، القاهرة، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

١٦ــ **التفكير فريضة إسلامية** :عباس محمود العقاد، ط: مؤسسة دار الهلال القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

١٧ــ **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**: محمد *بن الطيب* بن محمد القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٤٠٣هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٦ــ رسالة الآداب في علم أدب البحث والمناظرة: محمد محيي الدين عبد الحميد: ط: دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٧ــ **سنن ابن ماجه:** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي د.ت.

٢٨ــ السنن الكبرى: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ) تخريج حسن عبد المنعم شلبي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: أولى، ١٤٢١هـ.

٢٩ــ **شرح أسماء الله الحسنى المسمى لوامع البينات:** محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) نشر المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١١م.

٣٠ــ **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: نشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١ــ **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت.

٣٢ــ **الصليب وقصده الكوني:** فليب معزوز، مطبوعات نظرة المستقبل، ط: أولى ٢٠١١م.

٣٣ــ **العدالة الإلهية:** هاني مينا ميخائيل، تجهيزات جي سي سنتر، ميدان سفير، ط: الثالثة، ٢٠١٠م.

٣٤ــ **العقائد المسيحية بين القرآن والعقل** د. هاشم جودة، ط: مطبعة الأمانة بشبرا مصر، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.

٤٤ــ كفارة المسيح: عوض سمعان: ط: شركة الطباعة المصرية، ٢٠٠٣م.
٤٥ــ **لباب التأويل في معاني التنزيل:** علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ) تحقيق: محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٦ــ **ماهي النصرانية:** محمد تقي الدين العثماني، ط، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.
٤٧ــ **محاسن التأويل:** محمد جمال الدين القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨هـ.
٤٨ــ **محمد الرسالة والرسول:** د. نظمي لوقا، طبع دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٥٩م، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.
٤٩ــ **المستدرك على الصحيحين:** أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت:٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.
٥٠ــ **مسيا طبيعته وشخصه:** د. ديفدل كوبر، ترجمة القس إبراهيم سعيد ط: النيل المسيحية، ١٩٣٥م.
٥١ــ **المسيح إنسان أم إله:** د محمد مجدي مرجان، نشر مكتبة النافذة، ط: الأولى ١٩٧٢م.
٥٢ــ **المسيح في مصادر العقائد المسيحية:** مهندس أحمد عبد الوهاب، نشر مكتبة وهبة، ط: الثانية، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.